الـجـمـهـوريـة الـجـزائـريـة الـديـمـقـراطـيـة الـشـعـبـيـة

وزارة الـتـعـلـيـم الـعـالـي والبحث العلمي

جـامـعـة د. "مولاي الطاهر" سعيدة –

كلية الآداب و اللغات والفنون

قسم اللغة العربية و آدابها.

تخصص: نقد عربي قديم

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر

بعنوان

قضية التقليد و التجديد في الشعر العباسي

(أبو تمام أنموذجا)

- إعداد الطالبة: – إشراف الأستاذة الدكتورة:

- سنوسي سهام – مخلوف حفيظة

لجنة المناقشة

الأستاذة:د.وهيبة دخيل.....رئيسا

الأستاذة:د.مخلوف حفيظة.....مشرفا

الأستاذ:د.بن يمينة بن يمينة.....مناقشا

الموسم الجامعي : 2019/2018

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

نشكر الله عز وجل الذي وفقنا لإتمام دراسة مذكرتنا، ثم نشكر الأستاذة الدكتورة حفيظة مخلوف التي كان لها الفضل في اختيار موضوعنا هذا، و الإشراف عليه كما نشكر جميع أساتذة كلية الآداب و اللغات و الفنون قسم اللغة العربية، و آدابها وطاقمها الإداري بجامعة مولاي الطاهر بسعيدة، وأعضاء لجنة المناقشة، وكل من ساعدنا من قريب أو بعيد في إنجاز هذه المذكرة

إهداء

أهدي هذا العمل

المتواضع إلى الوالدين الكريمين

وإلى كل أفراد عائلتي

وإخوتي و أخواتي

و جميع صديقاتي

و إلى كل طالب علم

سهام سنوسي

مقدمة

مقدمة:

بسم الله الرحمان الرحيم، و الصلاة و السلام على خير الخلق أجمعين، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة، وأزكى التسليم، وعلى آله و صحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد

يعد الشعر العربي، حقلا خصبا، و ميدانا مفتوحا للدراسة، فقد واكب مختلف المستجدات، التي شهدها كل عصر من العصور، بداية من العصر الجاهلي، إلى يومنا هذا، و ما كان ذلك إلا رغبة من الشعراء، في تصوير ذلك الجديد، الذي عايشوه في حياتهم اليومية، و محاولة منهم في إضفاء نوع من التجديد في هذا الفن الأدبي، وحري بنا الإشارة إلى أن الشعر العربي، سار في خطوات وئيدة، نحو التجديد إلى غاية العصر العباسي، حيث شهد حركة واسعة، من التطور في شتى الميادين، أثرت بدورها، على الشعر ما أدى إلى ظهور قضية اختص بها هذا العصر عن ما قبله، عرفت بقضية التقليد، والتجديد حيث شغلت هذه القضية، ألباب الشعراء و النقاد، ولعل أبرز من أثارها، هو ذلك الجديد الذي جاء به الشاعر (أبو تمام)، ومنه كان عنوان بحثنا ممثلا في قضية التقليد و التجديد في الشعر العباسي (أبو تمام أنموذجا)

ومن الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار، هذا الموضوع، هو رغبتنا في تقصي ظاهرة التجديد في الشعر ، وتتبعها ومحاولة فهم كنهها، و التعريف بها، و الكشف عن جوانب التجديد التي جاء بها (أبو تمام)، ومن كل هذا نطرح الإشكال الذي مفاده:

- ما هي أبرز حركات التجديد في الشعر العربي؟
- وما هي أهم المستجدات التي حملها شعر (أبي تمام)؟

و لأن أي بحث لا يخلو من صعوبات، فقد واجهتنا خلال هذا البحث، مشكلة ممثلة في كون هذا الموضوع مطروقا من قبل، فحاولنا قدر المستطاع، دراسته من زاوية مختلفة.

وقد عرضنا البحث وفق خطة افتتحناها بمقدمة، كما وقد ضمت فصلين في الفصل الأول، و المعنون بحركات التجديد في الشعر العربي، تحدثنا عن التجديد في العصر الجاهلي، ثم انتقلنا إلى العصر الإسلامي، ومن بعده العصر الأموي، و أسهبنا في الحديث عن حركات التجديد في العصر العباسي، باعتباره جوهر الموضوع، و أساسه، و أتممنا الفصل الأول بالحديث عن حركات التجديد في الشعر العربي في ضوء تطور الحضارة العربية، والذي اعتنينا فيه بالحديث عن دور الحضارة في تطور الشعر العربي.

أما بالنسبة للفصل الثاني، فقد كان فصلا تطبيقيا، أوردنا فيه منابع ثقافة أبي تمام، ثم قمنا بدراسة أسلوبية لأنموذج من قصيدته في رثاء (محمد بن حميد الطوسي)، ووقفنا على مستوياتها الصوتية، و التركيبية و الدلالية، ثم ذكرنا أبرز مظاهر التجديد، التي تجلت في قصيدته، ثم أنهيانا بحثنا بخاتمة، رصدنا فيها بإيجاز، أبرز ما توصلنا إليه من نتائج و أردفناها بملحق تناولنا فيه ترجمة للشاعر، و قائمة للمصادر و المراجع، التي اعتمدنا عليها في هذا البحث، ثم أوردنا فهرسا، اشتمل على أهم المحطات، التي عالجناها خلال هذا البحث، كما وقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي، باعتباره الأنسب لمعالجة مثل هذه القضايا الأدبية.

و آمل بعد دراسة هذا الموضوع، أن يكون لبنة من لبنات، البحث في مجال الأدب العربي القديم، كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذة الدكتورة حفيظة مخلوف، التي أشرفت على هذا البحث، و التي كانت نعم العون، في إنجاز هذه المذكرة، كما و أتقدم بجزيل الشكر إلى لجنة المناقشة، التي اقتطعت من وقتها الثمين، ووافقت على قبول هذا العمل المتواضع و إثراء بحثي بآرائهم النيرة.

وفي الأخير، لا أعزم أنني أحطت بكل شيء، في هذا البحث ووفيته حقه من المدارسة و التحليل، كما أريد أن أشير إلى أن ما يشوب هذا العمل من سقطات يعود إلى حدود إمكانياتي، التي لم ترق بعد إلى الكمال.

الفصل الأول

حركات التجديد في الشعر العربي

- **أولا: التجديد في العصر الجاهلي**
- ثانيا: التجديد في العصر الإسلامي
- ثالثا: التجديد في العصر الأموي
- رابعا: التجديد في العصر العباسي
- **حركات التجديد في الشعر العربي**

في ضوء تطور الحضارة العربية

تمهيد :

لقد واكب الشعر العربي مختلف التغيرات و التطورات التي شهدها المجتمع، و كان لذلك أكبر الأثر في ازدهاره، فقد نما هذا اللون الأدبي منذ ظهوره أي منذ العصر الجاهلي، حيث سار بخطى متثاقلة نحو التجديد، وصولا إلى العصر العباسي، الذي شهد طفرة نوعية في هذا الاتجاه، فأصبحت قضية التجديد مجالا خصبا، اختلف حوله النقاد، ومؤرخو الأدب، وحتى الشعراء أنفسهم، بين مؤيد ورافض و معتدل، ومن هنا أصبحت هذه القضية حاضرة في الساحة الأدبية و في العصر العباسي أصبح التجديد مطلبا يسعى له الشعراء، ومايهمنا هو تقصي مظاهر التجديد في القصيدة العربية من العصر الجاهلي و حتى العصر العباسي.

أولا: التجديد في العصر الجاهلي:

لقد كان المجتمع العربي في الجاهلية يقوم على نظام القبيلة، كما كان لكل منها حمى تنتقل فيها، بحثا عن مواطن الكلأ، ولأجل هذه الحمى قامت العديد من الحروب، وكان يجمع بين أفراد القبيلة، ما يعرف بالعصبية وخير مثال على ذلك ما قاله "دريد بن الصمة":

وَهَلْ أَنَا إِلاَ مِنْ غَزِيَّةَ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ، وَ إِنْ تَرْشُدْ غَزِيَةُ أَرْشُدِ[1]

يؤكد الشاعر من خلال هذا البيت قوة ترابطه مع أفراد قبيلته فهو معهم يساندهم، ولا يعصيهم، فإن أصابوا اهتدى معهم، وإن زلوا و حادوا عن الطريق الصحيح، سار معهم في نفس النهج حتى لو تأكد له أنهم على خطأ.

[1] : عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار العلم للملايين، بيروت ،ج 1، دط، دت، ص 230.

كما اعتنى العرب عناية كبيرة بالشعراء، فكانت القبيلة إذا نبغ فيها شاعر أقيمت الاحتفالات، وحضرت إليها القبائل مهنئة، فالشاعر في تلك الفترة لسان قبيلته يدافع عنها، و يفتخر بها أمام القبائل الأخرى.

و مما لاشك فيه أن الشعر العربي، مر بمحاولات و تعثرات حتى «استقر على الصورة الناضجة المكتملة، التي شهدها عصر البسوس عند الطلائع المبدعة من شعراء هذه الحرب: المهلل بن ربيعة، و الحارث بن عباد، وجليلة البكرية، ومعاصريهم»[1] و استمرت كذلك حتى لحقها بعض التجديد، و التطور على يد شعراء المعلقات، وهم: (امرؤ القيس، وطرفة بن العبد، والنابغة الذبياني، و زهير بن أبي سلمى، و عنترة بن شداد، و الأعشى، ولبيد بن ربيعة)، الذين أسهموا في البناء الفني للقصيدة، واستقامت على صورتها التقليدية، حيث تبدأ عادة بمقدمة طللية يصف فيها الشاعر الأطلال، و صاحبة الأطلال، على نحو ما جاء في معلقة امرؤ القيس:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ[2]

فالشاعر هنا يوقف الصاحبين، ليبكيا معه، لأن المكان يذكره بمحبوبته التي كانت تعيش به، و كيف أصبح خاليا من أهله.

و على نحو ما جاء أيضا في معلقة (عنترة بن شداد) والتي مطلعها:

هَلْ غَادَرَ الشُعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَمِ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَارَ بَعْدَ تَوَهُمِ[3]

قصد الشاعر أن الشعراء قبله لم يتركوا طللا لم يقفوا عليه، كما يصرح بأنه لم يعرف طلل عبلة بالتأكيد، بل توهمه توهما.

---

[1] :يوسف خليفة: حركات التجديد في الشعر العربي، دار الثقافة، القاهرة،دط، 1975، ص 23.

[2]: عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، ص 118.

[3]: المرجع نفسه، ص 209.

فأغلب الشعراء ساروا على هذا النهج، في افتتاح قصائدهم بالبكاء على الأطلال، و إن كنا نجد(عمرو بن كلثوم) يبدأ قصيدته، بوصف الخمر، حيث يقول:

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكِ فَأَصْبِحِينَا وَلاَ تُبْقِي خُمُورَالأَنْدَرِينَا[1]

يدعو الشاعر الساقية، بأن تأتيه بالشراب، ولعل هذا كان في الصباح، إذ قال لها (أصبحينا)، كما يأمرها بأن لا تبقى و لا تذخر خمور الأندرينا، و هي قرى بالشام.

ثم ينتقل الشعراء في الغالب إلى وصف الراحلة، ثم إلى المدح أو الفخر أو الغزل، أو الحكمة، فقد تنوعت الأغراض في القصيدة الواحدة، غير أننا نجد كل شاعر يتميز بغرض عن الآخر، فمثلا عرف (عنترة بن شداد) بالفخر، أما (زهير بن أبي سلمى) عرف بالحكمة، وهكذا استقامت القصيدة العربية على هذه الشاكلة.

لقد عرف الشعر الجاهلي، نوعا آخر، جاء به مجموعة من الخارجين عن نظام القبيلة، وهم الصعاليك إذ نلمح جانبا من التجديد في شعرهم، فهم لم يفتخروا بقبائلهم، بل افتخروا بالغارات التي كانوا يقومون بها، كما أنهم استأنسوا بالوحوش، عوض معاشرة الناس، كما اعتزوا بافتراش الأرض، و خير مثال على ذلك لامية العرب(للشنفرى):

أَقِيمُوا، بَنِي أُمِي، صُدُورَ مَطِيكُمْ فَإِنِي إِلَى قَوْمٍ سِواكُمْ لَأَميلُ

فَقَدْحُمتِ الحَاجَاتُ و اللَّيلُ مُقمِرُ و شُدتْ لِطِيَاتٍ مَطايَا وأَرْحُلُ

و في الأَرْضِ مَنْأَى لِلْكَرِيمِ عن الأَذَى و فيها لمن خَافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ

و لي دُونَكُمْ أَهْلُون سِيد عَمَلّس و أَرْقَطُ زُهلُولٌ و عُرْفَاءُ جَيْأَلُ[2]

[1]: ابن عبد الله الحسين بن عبد أحمد بن الحسين الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار الكتب العلمية، بيروت،دت، ص 102.

[2]: عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، ص 103.

يريد الشاعر استعداد قومه لرحيله عنهم، و إن كان في ظاهر الكلام عكس ذلك، فقد قدر له أن يرحل عنهم، ولعله يشير إلى وقت رحيله بقوله (و الليل مقمر)، ثم ينتقل في البيت الثالث، و الذي يمثل حكمة مفادها أن الكريم عليه الرحيل، أحسن من تحمل مذلة الناس، وأذيتهم كما يردف إلى قوله هذا، بأنه اتخذ من دون قومه أهلا آخرين، من حيوانات (سيد) و هو الذئب و الذي يصفه بالعملس، وهو القوي على السير و يقصد بالأرقط النمر، كما يضيف إلى هذين الحيوانين العرفاء، وهو وحش ضار يشبه الضبع.

و هذا التصرف يعكس وجهة جديدة في الشعر الجاهلي، فبعد أن كان الشاعر ابن قبيلته يفتخر بها، ويمجدها أمام غيرها من القبائل و يعتز بانتمائه لها، أضحى الشعراء الصعاليك يفتخرون بعيشهم مع الحيوانات، على عيشهم مع أبناء قبيلتهم، وهذا راجع إلى الظلم الذي عاشوه في قبائلهم، فاتخذوا من الصعلكة سبيلا للتحرر من تلك الضغوطات التي فرضتها عليهم القبيلة.

كما نلمح أيضا أن الشعراء الصعاليك، عبروا عن شخصياتهم الفردية، فنجدهم يفتخرون بشجاعتهم، وصبرهم، كما يصفون مغامراتهم، يقول (أبوخراشالهذيلي):

و إِنِي لَأُثْوِي الجُوعَحتّى يَمَلَنِي فَيَذْهَبَ لم يَدنَسْ ثِيَابِي ولَا جِرمِي

و أَغْتَبِقُ المَاء القَرَاحَ فَأَنتَهِي إِذَا الزَادُ أَمْسَى للمزَلجِذَاطَعْمِ[1]

يفتخر الشاعر بصبره على الجوع لمدة طويلة، حتى يمله و يذهب عنه، و كيف أنه يكفيه شرب الماء الصافي، على أن يطعم من حوله من الجياع، وفي نفس السياق نجد (عروة بن الورد) يقول:

[1]: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ج1،ط11،دت، ص 376

إِني امَرِؤٌ عَافَى إِنَائِي شِركَةٌ وَ أَنْتَامَرِؤٌ عافى إِنَائَكَ وَاحدُ

أَتَهَزَأمِنِي أَنْ سَمِنْتَ و أَنْ تَرَى بِجِسْمِي شُحُوبَ الحَقِ، و الحَقُجَاهِدُ

أُفرقُ جِسمِي فِي جُسومٍ كَثيرةٍ و أَحسُو قَرَاحَ المَاءِ، و المَاءُ بَارِدُ[1]

يرد الشاعر من خلال هذه الأبيات على من يعيره بهزله، و شحوب وجهه، أنه يشارك طعامه مع المحتاجين، والفقراء عكسه هو، مضيفا أنه كثيرا ما يهبهم طعامه، مكتفيا هو بشرب الماء البارد، و كأنه يريد أن يقول له، أنا لست الخليق بالسخرية بل أنت، فالشاعر يعبر عن معنى سامي، و خلق رفيع يعرف بالإيثار.

كما يصفون الغارات التي يقومون بها، و يعترفون بأنهم كثيرا ما يرجعون منها خائبين، يقول (الشنفرى):

و بَاضِعَةٍ حُمرِ القِسيِّ بَعشُهَا ومن يَغْزُ يَغْنَمْ مَرّةً و يُشمتْ[2]

يريد الشاعر أنه خرج إلى الغزو هو و أصحابه، وفي غزوهم هذا قد يوفقون و يرجعون بالغنائم، كما قد ينهزمون، ويرجعون خائبين إلى أهلهم.

لقد ولد احتكاك العرب، بالحضارات الأجنبية من فارسية، ويونانية ورومانية بعضا من مظاهر التجديد، التي لم تكن حاضرة من قبل، كان لها أثر بارز في الشعر العربي القديم، و نلمح ذلك عندما نجد «الأعشى يصف الخمر، و عندما نراه ونرى غيره من الشعراء يصفون أدوات الشراب»[3] وهذا مما يمكننا أن ندرجه ضمن نطاق

[1]: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص 384.

[2]: المرجع نفسه، ص 380.

[3]: طه حسين: التقليد و التجديد، مؤسسة هنداوي، دط، دت، ص11.

التجديد، كون هذا المظهر كان نتيجة تأثر العرب، بذلك الوافد الأجنبي، وما حمله من ثقافات أجنبية معه، ومن أمثلة ذلك ما قاله (الأعشى) في وصفه للخمر:

و صَهْبَاءَ صِرفٍ كَلَوْنِ الفُصوصِ بَاكرتُ في الصُبحِ سَوارهَا

فَطَورًا تَـمِـيـلُ بِنَا مُرَةً وَطَوْرًا نُعَالِجُ إِمْرَارَهَا

تَكَادُتُنشِي ولما تُذقْ وتُغشِي المَفاصلَإفتارهَا[1]

يصف الشاعر الخمر (الصهباء)، بأنها (صرف) أي غير ممزوجة، وأن لونها كالفص، وهو الحجر الكريم الذي يوضع في الخاتم من الياقوت الأحمر، و كيف أنه قام باكرا من أجل شربها، و أنها مرة تسكرهم ومرة يمنعون إسكارها لهم بتناول البقل، غير أنها تكاد تسكرهم قبل أن يتذوقوها، كما أنها تجعل مفاصلهم خدرة لا يقوون على تحريكها.

كما أن العديد من قصائد (الأعشى) تشبه إلى حد ما خمريات العباسيين، ومن أمثلة ذلك قوله:

أَتانِي يُؤامرِني في الشُمولِ لَيلًا فَقلتُ له: غَادهَا

أَرحنَا نُباكرُ جد الصَبوحِ قَبلَ النُفوسِ و حُسادهَا

فَقمنَا ولما يَصح دِيكنَا إلى جَونةٍ عند حَدادهَا

تَنخلهَا من بِكارِ القِطافِ أُزيرقُ آمن إكسادهَا[2]

[1]: عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، ص 223.

[2]: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص 357.

يتبين من خلال هذه الأبيات أن هناك شخصا أتى إلى (الأعشى) يؤامره (يشاوره) أن يذهبا معا لتناول الشمول (الخمر)، فرافقه الشاعر قبل طلوع الشمس، وقبل أن تصيح الديكة، خشية أن يسبقهما إليها حسود، ثم ينتقل إلى وصف الخمرة، وأنها موضوعة في جونة (جرة) عند حدادها (خمارها)، وكيف أنه تنخلها (تخيرها) من بكار القطاف، أي من أول القطاف، وأن صاحبها أزيرق أي أزرق العينين، لا يخاف كساد خمرته، لأنها معتقة، فمثلها لا يبور، و يضيف قائلا:

فَقُلتُ له: هذه هَاتـهَا بأدماءَ في حبلِمُقتادهَا

فَقَالَ: تَزِيدُونَنِي تِسْعَةً وَ مَا ذَاكَ عَدْلاً لأندَادهَا

فَقُلْتُ لِمنْصِفنَا: أَعطهِ فَلَمَا رَأى حَضرَ شُهادهَا

أضَاءَ مِظَلَتُهُ بِالسِراجِ وَ اللَّيْلُ غَامرٌ جُدادهَا[1]

و يوضح الشاعر أنهما اشتريا هذه الخمرة، بأدماء (ناقة بيضاء) مربوطة بحبل مقتادها أي غلامها الذي يرعاها، غير أن الخمار طلب أن يزيدوه تسعة دراهم، معتبرا أن سعرها أكثر من ذلك، فقال (الأعشى) لمنصفه (خادمه) أعطه إياها، فلما رأى الخمار المال حاضرا أضاء حانوته (مظلته) بالسراج، لأن الليل كان لا يزال يغمر أهدابه و أستاره.

يتوضح لنا من خلال هذه الأبيات وجهة الشاعر التجديدية حيث أنه «يقترب من ذوق جماعة المجان في العصر العباسي أمثال أبي نواس، و في الوقت نفسه يفترق عن ذوق معاصريه الذين لم يكونوا يسرفون على أنفسهم

[1]:شوقي ضيف المصدر السابق، ص 357.

إسرافه في اللهو و المجون»[1]، و لعل السبب في ذلك يرجع إلى تأثره بالحضارات الأجنبية، فكما وصف الشاعر الخمرة، و صف أوانيها، و مجالسها بدقة، و حتى وصف أثرها على شاربيها.

هذا كان فيما يتعلق بالعصر الجاهلي، وما شهده من ملامح تجديد أما بالنسبة للعصر الإسلامي، فقد شهد هو الآخر ملامح تطور لم تكن موجودة من قبل، استحدثها الدين الإسلامي سنتطرق إليها في العنصر الموالي.

ثانيا: التجديد في العصر الإسلامي

يعد ظهور الإسلام بمثابة نقطة فاصلة، بين ظلام الجاهلية، ونور الحق، فقد غير الكثير من الأخلاق السيئة، التي كانت شائعة في ذلك الوقت، كما أشاد و أكد على تلك القيم السامية، التي عرف بها الجاهلي آنذاك، أما إذا تحدثنا عن الشعر ففي «الإسلام لا يختلف كثيرا في أسلوبه، منه في الجاهلية، أما في المعاني والأغراض فقد كان الفرق بين العصرين كبيرا جدا»[2] حيث صيره كي يتماشى مع تعاليم الإسلام، ويكون أداة للبناء و الإرشاد، ونشر الدين، و الرد على خصوم الدين الإسلامي بالحجة و الدليل، كما وقد رفض من الشعر، ما يمس كرامة الناس، و يؤذي مشاعرهم، وأحاسيسهم كالهجاء، والخمريات و الغزل الماجن، وغيرها من الأغراض التي لا تتلائم، و تعاليم الدين الجديد.

لقد كان للقرآن الكريم أثر بارز في معاني الشعر، حيث نجد بعض الشعراء، يستمدون من آياته ما يخدم قصائدهم على نحو ما قاله (أبو الدرداء):

يُرِيدُ المَرْءُ أَنْ يُؤْتَمُنَاهُ وَ يـَأْبَى اللهُ إِلَّا مـَا أَرَادَا

[1]: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص 357.

[2]: عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، ص 246.

يَقُولُ المَرْءُفَائِدَتِي وَمَالِي وَ تَقْوَى اللهِ أَفْضَلُ مَا اسْتَفَادَا[1]

يوضح الشاعر من خلال هذه الأبيات، أن الإنسان يطمح إلى الوصول لأشياء في حياته، غير أن الله تعالى قدر لكل شخص نصيبه من هذه الحياة، كما أن الإنسان بطبعه يحب جمع المال، و جني أكبر قدر من الفوائد، غير أن الفائدة الكبرى هي تقوى الله

كما نجد من الشعراء من سلك في شعره مسلكا توعويا، إما بترسيخ فضيلة من الفضائل، أو النهي عن خلق ذميم، و خير مثال على هذا التوجه (عبدة بن الطبيب)، الذي حاول من خلال أبيات شعرية أن يفيد أولاده، ويوجههم إلى الطريق السوي، و إبعادهم عن كل مامن شأنه إلحاق الضرر بهم، حيث يقول:

أُوصِيكُمْ بِتُقَى الإِلَهِ فَإِنَّهُ يُعْطِي الرَغَائِبَ مَنْ يَشَاءُ وَ يَمْنَعُ

وَبِبِرِّ وَالِدِكُمْ وَ طَاعَةِ أَمْرِهِ إِنَّالأَبَرَّ مِنَ البَنِينِالأَطْوَعُ

وَاعْصُو الَّذِي يُزْجِي النَمَائِمَ بَيْنَكُمْ مُتَنَصِّحًا ذَاكَ السَمَّامُ المُنَقَّعُ

يُزْجِي عَقَارِبَهُلِيَبْعَثَ بَيْنَكُمْ حَرْبًا كَمَا بَعَثَ العُرُوقَ الأَخْدَعُ[2]

يوصي الشاعر أبنائه بتقوى الله، وبر الوالد، و طاعة أمره، و الحذر من النمام الذي يزرع الضغائن بين الناس، من أجل نشر العداوة و الكراهية، والحروب وكل هذا استلهمه من تعاليم الدين الحنيف التي تأمر بطاعة الوالدين، وتنهى عن النميمة و غيرها من الصفات المذمومة، التي تنشر العداوة بين الناس.

ومما يمكننا أن ندرجه ضمن التجديد أيضا، تلك الخصومة التي دارت بين الشعراء المسلمين و المشركين، حول الدين، وهذا مما لا نألفه عند الشعراء الجاهلين حيث نجدهم يختصمون فيما بينهم في أمور القبيلة، وما يتعلق بها، أما فيما يتعلق بمسألة الدين، فهذا أمر جديد عليهم «فهم لم يختصموا حول المسيحية، ولا حول اليهودية حين

[1]: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ج2،ط7،دت، ص 68

[2]: المصدرنفسه، ص 69- 70.

أخذت هذه الديانة أو تلك تنتشر في الجزيرة العربية، وإنما اختصموا حول هذا الدين الجديد الذي جاءهم به رجل عربي منهم»[1].

ومن أمثلة ذلك قول (حسان بن ثابت) في أبيات يتحدى بها (أبا سفيان بن الحارث) بعد أن هجا الرسول صلى الله عليه و سلم، يقول:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الجَزَاءُ

فَإِنَّأَبِي وَوَالِدَهُ وَ عِرْضِي لَعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنكُمْ وِقَاءُ

أَتَهْجُوهُوَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ[2]

يخاطب الشاعر (أبا سفيان) و في خطابه عتاب و لوم له، لأنه هجا الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو أعلى منزلة منه في الخير، ومكارم الأخلاق، فهو ليس مساويا له، و أنه في رده هذا ينتظر الجزاء من الله تعالى.

ونلمح أيضا دفاعه عن الإسلام من خلال رده على وفد تميم، حينما حضروا ليفاخروا الرسول صلى الله عليه وسلم، بقوتهم و كثرة عددهم، فقال شاعرهم، وهو (الزبرقان بن بدر):

نَحْنُ الكِرَامُ فَلاَحَيَّ يُعَادِلُنَا مِنّا المُلُوكُ وَ فِينَا تُنْصَبُ البِيَّعُ[3]

يقصد الشاعر أن قومه (بني تميم) هم أكثر الناس حسبا و نسبا ، فلاحي يعاضلهم أو يساويهم، فمنهم الملوك،وفيهم تنصب البيع، أي أماكن العبادة.

و يرد عليه (حسان بن ثابت) ، بعد أن أذن له الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله:

---

[1]: طه حسين، التقليد والتجديد، ص 12.

[2]: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي،ص 48.

[3]: عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، 329.

إِنَّ الذَوَائِبَ مِنْ فَهْرٍ وَ إِخْـوَتِهِمْ قَدْ بَيَّنُوا سُنَّةً لِلنَّاسِتُتَّبَـعُ

يَرْضَى بِهَمْ كُلُّمَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ تَقْوَى الإِلَهِ، وَ كُلُّ الخَيْرِ يُصْطَنَعُ

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَـدُوَّهُـمْ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا

سَجِيَّةٌ تِلْكَ فِيهِمغَيْرُ مُـحْـدَثَـةٍ إِنَّالخَلاَئِقَ، فَاعْلَمْ، شرُّهَا البِدَعُ

إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَّاقُونَ بَعْدَهُمْ فَـكُـل سَبْـقٍلِأَدْنَـى سَبْـقِهِمْ تَبَعُ[1]

يقصد الشاعر أن الرؤساء من مهاجري قريش، و إخوتهم الأنصار من أهل المدينة، جاءوا بدين الإسلام، للناس كي يتبعوه و لايرضى بهذا الدين من شغل قلبه بتقوى الله، وفعل الخير.

و أنهم قوم أقوياء أشداء مع أعدائهم، إلا أنهم إذا حاولوا النفع في أقوامهم نفعوا، وأن هذه الخصال طبيعة قديمة فيهم غير محدثة، فهم على التوحيد منذ أقدم الأزمنة، فكيف يعتبرون أن هذا الدين شر لهم، وهو يحمل في طياته كل الخير لهم، و يوضح لهم أن شر الأمور، هو الشيء السيء المخالف لعادات القوم، ثم يؤكد أنه لو كان هناك سبق بعدهم في فعل الخير، فهذا السبق ما هو إلا تبع لسبقهم.

كما نجد من الشعراء من يعتذرون للرسول صلى الله عليه و سلم، على ما منهم من هجاء في حقه، ومن أمثلة ذلك قول (ابن الزبعرى):

يَـا رَسُولَ الـمَلِيكِ إِنَلِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورُ

إِذْ أُجَارِي الشَيطَانَفِي سُنَنِ الغَيِ وَمَنْ مَـالَ مَيْلَه مَثْبُورُ[2]

[1]: عمر فروخ المرجع السابق، ص ن.

[2]: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الاسلامي،ص 69.

يخاطب الشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، محاولا التكفير عما قدمه لسانه من أشعار مؤذية، وهو في ذلك يريد إصلاح ما أفسده، معترفا بضلاله، لأنه اتبع الشيطان في طريق الظلم، مؤكدا أن كل من يتبع طريقه هالك لا محالة

و بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم رثاه العديد من الشعراء، ومن أبرزهم (حسان بن ثابت) بقوله:

بِطِيبَة رَسْمٌ للْنَبِي وَ مَعْهَدٌ مُنِيرٌ، وَقَدْ تَعْفُو الرُسُومُ وَ تَهْمَدُ

وَلَا تُمْحَى الآيَاتُمَنْ دَارَ حُرْمَةٍ بِهَا مِنبَرُ الهَادِي الذِي كَانَ يَصْعَدُ[1]

يريد الشاعر بطيبة (المدينة المنورة) و أن بها مكانا للنبي يتذكره الناس به، و يترددون عليه، و أنه تبلى الأماكن و تمحى، غير أنه لا تمحى الدلائل من مكان به منبر النبي، الذي كان يصعد إليه، ويخطب في الناس.

ومن المعروف أن الاسلام أنكر الهجاء، لما فيه من مساس بأعراض الناس، غير أنه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم استهان البعض بهذه القضية، ورجعوا إلى هذا اللون من الشعر، أمثال (الحطيئة) حيث قال في هجاء (الزبرقان بن بدر):

دَعِ المَكَارِمَ لَا تَرحَلْ لبُغْيَتِهَا واقْعُدْ فَإنَكَ أَنْتَ الطَاعِمُ الكَاسِي

مَنْ يَفْعَلِ الخَيْرَ لَا يَعْدَمْ جَوَازِيَه لَا يَذْهَبُ العُرْفُ بَينَ اللهَ و النَاس[2]

يريد الشاعر من (الزبرقان) ترك المكارم، لأنه ليس أهلا لها، وعدم الرحيل بغية البحث عنها، كما يرى أنه من الأفضل له البقاء مكانه، ليطعمه الناس و يكسونه.

فلما شكاه (الزبرقان) لأبي بكر سجنه، فقال (الحطيئة) يستعطفه كي يخرجه من السجن:

---

[1]: عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، 330.

[2]: المرجع نفسه ،ص 333.

مَاذَا تَقُولُ لأَفرَاخٍ بِذِي مَرخٍ حُمُرُ الحَواصِلِ لَا مَاءٌ و لَاشَجَرُ

أَلْقَيْتَ كَاسِبهُمْ فِي قَعْرٍ مُظْلِمَةٍ فَاعْطَفْ عَلَيكَ سَلاَمُ الله يَا عُمَرُ[1]

يطلب الشاعر من عمر بن الخطاب أن يخلي سبيله لكي يرجع إلى أولاده، موضحا أنهم لا زالوا صغارا، ليس لهم غيره، فأطلق سراحه «و أخذ عليه ألا يهجو أحدا من المسلمين، ثم أعطاه ثلاثة آلاف درهم يستغني بها عن الهجاء»[2] ولم يكن ذلك، إلا حرصا من الإسلام، على صون كرامة الإنسان.

هذه أبرز ملامح التجديد التي شهدها العصر الإسلامي منتقلين إلى الحديث، عن مظاهر التطور في الشعر الأموي، في العنصر التالي.

ثالثا: العصر الأموي

لقد كان الشعر في العصر الأموي، امتدادا لما كان عليه في العصرين: الجاهلي والاسلامي، غير أننا نلحظ بعض مظاهر التجديد، التي نشأت بسبب اختلاط العرب بالأعاجم، وشيوع اللهو و المجون، و نتيجة ظهور النزاعات بين الأحزاب السياسية التي عرفها ذلك العصر.

إن أبرز ما ميز الشعر في تلك الفترة، ظاهرة التخصص حيث عرفت كل بيئة بنوع من الشعر «فظهر في الحجاز الغزل اللاهي، وظهر في البادية الغزل العذري، وظهر في العراق الشعر السياسي وشعر النقائض، وظهر في الشام شعر المدح، و ظهر في خراسان شعر العصبيات القبلية»[3]و كان لكل نوع من هذه الأنواع سبب في ظهوره فإذا ما تحدثنا عن الغزل اللاهي، الذي انتشر في بيئة الحجاز، كان نتيجة كثرة الأموال جراء موجة الفتوحات آنذاك، ما أدى إلى شيوع اللهو، و المجون، ومن أبرز شعراء هذا النوع نجد (عمر بن أبي ربيعة و الأحوص،

[1]: عمر فروخ المرجع السابق، ص 333.

[2]: المرجع نفسه، ص 333.

[3]: يوسف خليفة: حركات التجديد في الشعر العربي، ص 34.

والعرجي)، ومن أمثلة ما قاله (عمر بن أبي ربيعة) موضحا شدة تعلقه بالنساء،حتى أنه في مواسم الحج يعلن حبه إعلانا لكل امرأة ذات حسن يلقاها:

يَقْصِدُ النَاسَ لِلطَوافِ اِحْتِسَابًا وَذُنُوبِي مَجْمُوعَةٌ فِي الطَوَافِ[1]

كما يصور لنا أيضا شدة حب النساء له، فهو لا يشكو من فراقهن له، بل هن من يتشكين من ذلك، على نحو ما قاله على لسان إحدى صواحبه:

تَقُولُ إِذْأَيْقَنَتْ أَنِي مُفَارِقُهَا يَا لَيْتَنِي مِتُ قَبْلَ اليَوْمِ يَا عُمَر[2]

ومن الواضح أن (عمر بن أبي ربيعة) في أغلب شعره، الذي قاله لم يكن يصور لنا حبه هو، وإنما كان يصور حب الفتيات له.

و إذا ما انتقلنا إلى (الأحوص) فإننا نجده يعلن أن الحب هو كل شيء في الحياة، وذلك في قوله:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْشَقْ وَ لَمْ تَدْرِ مَا الهَوَى فَكُنْ حَجَرًا مِنْ يَابِسِ الصَخْرِ جَلْمَدَا[3]

يريد الشاعر من خلال هذا البيت أن يعبر عن وجهة نظره المتمثلة في أن الذي لم يعشق ما هو إلا حجر (ربما قصد به قسوة القلب)، أو جمادا لا حياة فيه.

ومن أروع ما قاله في غزل (سلامة القس) و عبر عن شدة حبه لها:

يَا دِينَ قَلْبِكَ مِنْهَا لَسْتَ ذَاكِرَهَا إِلاَ تَرَقْرَقَ مَاءُ العَيْنِ أَوْ دَمَعَا

---

[1]: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي،ص 350.

[2]: المصدر نفسه،ص 351

[3]: شوقي ضيف، المصدر السابق، ص 355.

لَا أَسْتَطِيعُ نزُوعًا عَنْمَحَبتِهَا أَوَ يَصْنَعُ الحُبُ بِي فَوْقَ الذِي صَنَعَا

وَ زَادَنِي كَلَفًا فِي الحُبِ أَنْ مُنِعَتْ وَأَحَبُ شَيْءٍ إِلَى الإِنْسَانِ مَا مُنِعَا[1]

يوضح الشاعر أن داء قلبه ، هو أنه كلما ذكرها (محبوبته) دمعت عيناه، و كيف أنه لا يستطيع أن يحيد عن محبتها، متسائلا إن كان الحب يصنع أكثر مما ألحقه به، ويبرر سبب ازدياده في حبها، كونها انصرفت عنه، وأن أحب شيء للإنسان ما منع عنه.

هذا كان شأن الغزل اللاهي، أما بالنسبة للغزل العذري الذي يعد بمثابة صورة مقابلة للغزل اللاهي، حيث نشأ في بادية الحجاز و التي كان أهلها محافظين على القيم الإسلامية، نتيجة عدم اختلاطهم بالبيئات التي لحقها ذلك التحول الحضاري، ومن أبرز شعراء هذا النوع نجد (قيس بن ذريح) الذي عبر عن شدة حبه،و اشتياقه (للبنى) في قوله:

وَ إِنِي لَأَهْوَى النَوْمَ فِي غَيْرِ حِينِهِ لَعَلَ لِقَاءً فِي المَنَامِ يَكُونُ

تُحَدِثُنِي الأَحْلَامُ أَنِي أَرَاكُمْ فَيَا لَيْتَ أَحْلَامَ المَنَامِ يَقِينُ[2]

يريد الشاعر من خلال هذين البيتين، أن يوضح أنه أصبح يحب أن ينام، حتى قبل مغيب الشمس، لعله يرى معشوقته (لبنى) في الأحلام، كما أنه يتأمل أن تكون أحلامه حقيقة و يراها في الواقع.

وهنا نلمح الاختلاف بين النمطين من الغزل كون الأول لا يقف على محبوبة واحدة، عكس النمط الثاني حيث اقترنت أسماء الشعراء بأسماء محبوباتهم، و نلحظ الاختلاف أيضا في كون الأول يتعهر في الحديث عن المرأة و وصفها، بينما الثاني نجده متحفظا نوعا ما، بحكم البيئة التي نشأ فيها.

[1]:شوقي ضيف المصدرالسابق، ص 356.

[2]: المصدرنفسه، ص 365.

كما شهد العصر الأموي أنواعا متعددة من الشعر، و ذلك نتيجة العديد من الأسباب، نذكر منها تلك الخلافات التي نشأت في هذا العصر بين الأحزاب السياسية، ومنه نشأ لون جديد من الشعر، يطلق عليه النقائض، والنقيضة «قصيدة يرد بها شاعر على قصيدة لخصم له، فينقض معانيها عليه: يقلب فخر خصمه هجاء، وينسب الفخر الصحيح إلى نفسه هو، و تكون النقيضة عادة من بحر قصيدة الخصم، وعلى رويها»[1] ولعل من أبرز شعراء هذا اللون (جرير و الأخطل و الفرزدق)، ومن أمثلة ذلك نذكر تلك الخصومة التي دارت بين (جرير) و (الفرزدق) هذا الأخير الذي يقول:

وَلَوْ تَرْمِي بِلُؤْمِ بَنِي كُلَيْبٍ نُجُومُ اللَيْلِ مَا وَضَحَتْ لِسَارٍ

وَلَوْ يُرمَى بِلؤمِهِمْ نَهَارٌ لَدَنَسَ لُؤْمُهُمْوَضَحَ النَهَارِ

وَ مَا يَغْدُو عَزِيزُ بَنِي كَلَيْبٍ لِيَطْلُبَ حَاجَةً إِلَا بِجَار[2]

يصف الشاعر قوم جرير(بني كليب) باللؤم، و يصور شدة هذا اللؤم، حتى لو أنه رمي على نجوم الليل ما ظهرت لسار يريد أن يعرف الطريق، ولو رمي على نهار، تدنس وضوحه و ضياءه.

ويرد (جرير) عليه نقيضته بقوله:

لَقَدْ وَلَدَتْ أُمُ الفَرَزْدَقِ فَاجِرًا وَ جَاءَتْ بِوَزْوَازٍ قَصِيرِ القَوَائِمِ

وَ مَا كَانَ جَارٌ لِلْفَرَزْدَقِ مُسْلِمٌ لِيَأْمَنَقِرْدًا لَيْلُهُ غَيْرُ نَائِمِ

أَتَيْتَحُدُودَ اللَهِ مُذْ أَنْتَ يَافِعُ وَ شِبْتَ فَمَا يَنْهَاكَ شَيْبُاللَهَازِمِ[3]

[1]: عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، 361.

[2]: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي،ص 247.

[3]: المصدرنفسه، ص 247.

يتحدث الشاعر عن الفرزدق، و ينعته بالفجور، كما يعيره بقصر قامته، و خيانته للأمانة، حيث لا يأمنه أحد، حتى جيرانه و يوضح أنه تعدى حدود الله منذ صغره، حتى كبره وشيب لحيته لم ينهه عن هذه الأخلاق الذميمة.

ومن كل هذا نستنتج أن مظاهر التجديد هذه، دعت إليها عدة أسباب ارتبطت في الغالب، بموجه المجون و الترف و تحول المجتمع إلى مجتمع مدني، غير أننا نلمح تفاقم هذه المظاهر في العصر العباسي، ما يؤدي إلى ظهور تطورات عديدة في الشعر العربي، سنتحدث عنها في العنصر الموالي.

رابعا: التجديد في العصر العباسي

لقد شهد العصر العباسي تطورا حضاريا هائلا، كان له أكبر الأثر على قرائح الشعراء، حيث عالجوا في ثنايا قصائدهم موضوعات ارتبطت بالجديد الذي شهدوه، ولعل أكبر ممثل لهذه الوجهة الجديدة، هم الشعراء المولودون، الذين وجهوا القصيدة الشعرية وجهة جديدة.

تميزت القصيدة الشعرية في هذا العصر، بعدة مظاهر جديدة، و لعل أبرزها ذلك التجديد الذي طال مقدمة القصيدة، حيث أعرض كثير من الشعراء، عن افتتاح قصائدهم بمقدمة طللية ومن أبرزهم (أبو نواس) الذي نجده يقول:

عَاجَ الشَقِيُ عَلَى رَسْمٍيُسَائِلُهُ وَ عُجْتُأَسْأَلُ عَنْ خَمَارَةِ البَلَدِ

يَبْكِي عَلَى طَلَلِ المَاضِينُمِنْ أَسَدِ لَادُرَ دُرُكَ قُلْ لِي مَنْ بَنُو أَسَدِ؟[1]

يريد الشاعر أن الشقي هو وحده من يعطف إلى الطلل يحاوره، أما هو فلا يعطف إلا بحثا عن خمارة البلد، و أنه يبكي عن (بني أسد)، ويسأل متهكما، منهم بنو أسد؟

[1]: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دا المعارف، القاهرة،ج3، ط8، دت، ص 231.

و نجده أيضا ينكر البكاء على الأطلال، و يسخر من حياة العرب، وفي ذلك نزعة شعوبية، يرمي من خلالها إلى رفض كل ما هو عربي، يقول:

دَعِالأَطْلاَلَ تَسْفِيهَا الجَنُوبُ وَ تَبْلَى عَهْدَ جِدَتِهَا الخُطُوبُ

وَخَلِ لِرَاكِبِ الوَجْنَاءِ أَرْضًا تَخِبُ بِهَا النَجِيبَةُ وَ النَجِيبُ

بِلاَدٌ نَبْتُهَا عُشْرٌ وَ طَلْحٌ وَ أَكْثَرُ صَيْدِهَا ضَبْعٌ وَ ذِيبُ

وَلَاتَأْخُذْ عَنِ الأَعْرَابِ لَهْوًا وَ لَا عَيْشاًفَعَيْشُهُمْ جَدِيبُ[1]

يدعو الشاعر إلى ترك الأطلال للرياح كي تموحها، و لنوائب الزمن كي تبليها، فليس عليه البكاء عليها، كما يحثه على الابتعاد عن وصف الرحلة، أو الأنس لحياة العرب، ومحاولة الأخذ من طريقة عيشهم، فليس عليه أن يتعب نفسه – حسب رأيه – لأن عيشهم جديب ومن كل هذا يتضح أن الشاعر، يرى بأن التمسك بما هو قديم في وقت تطورت فيه الحياة ، لا فائدة منه وهو بوجهته هذه يهدف إلى الحط من شأن العرب، والسخرية من أسلوب عيشهم.

و إلى جانبه نجد (بشار بن برد) و الذي كان شديد العداء للعرب، فقد مجد كل ما هو فارسي، وسخر من كل ما هو عربي، و ذلك لنزعته الشعوبية، حيث يروى أن أعرابيا، دخل على (مجزأة بن ثور السودي)، بالبصرة و (بشار) عنده، فسأل الأعرابي، من الرجل؟ قال: شاعر، قال: أمولى أم عربي؟، قال :مولى، فقال الأعرابي: وما للموالي و الشعر، فغضب (بشار)، وقال:

[1]: مصطفى بيطام: مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. دط، 1995، ص 375.

تُفَاخِرُ يَا ابْنَ رَاعِيَةٍ وَ رَاعٍ بَنِي الأَحْرَارَحَسْبُكَ مِنْخِسَارِ

وَ كُنْتَ إِذَا ظَمِئْتَ إِلَى قَرَاحٍ شَرَكْتَ الكَلْبَ وَلَغَ الإِطَارِ[1]

يرد الشاعر على الأعرابي، لأنه افتخر عليه كونه عربي بأنه حر،وما هو إلا ابن راعية وراع، كما عيره بشربه من الحياض، التي تشرب منها الدواب في الأرض لقلة الأدوات عندهم.

ومن الشعراء الذين نادوا، بالابتعاد عن المقدمة الطللية، أمثال (أشجع السلمي) الذي نجده يقول:

مَالِي وَ لَلرَبْعُ وَ الرُسُومُ هُنَ طَرِيقٌ إِلَى الهُمُوم

لَلَحْظُطَرْفٍ وَ غَمْزُ كَفٍ وَ خَمْرَةٌ مِنْ بَنَاتِ رِيمٍ

أَحْسَنُ مِنْ خَيْمَةٍوَرَبْعٍ تَجْرَحُهُ الرِيحُ بِالنَسِيمِ[2]

أراد الشاعر من خلال هذه الأبيات، أن ذكر الأطلال ما هو إلا طريق للأحزان و الأنكاد، لا شأن له بها، و إنما العيش في رأيه أن يعيش الحياة الحديثة، وما توفره من لهو، وعبث ومجون، ومساكن راقية، فأين هذه الحياة الحضارية من تلك الحياة البدوية، التي يسكن أهلها بالخيام.

التجديد في أغراض الشعر:

نظرا لموجة التطور التي شهدها الشعر العباسي، تطورت العديد من الأغراض الشعرية، فأصبحت تتخذ طابعا جديدا يتماشى مع هذه التطورات، كما نلحظ ظهور أغراض جديدة لم تكن معروفة من قبل نتيجة عدة أسباب، سنفصل القول فيها فيما سيأتي

أولا: المدح

[1]: مصطفى بيطام المرجع السابق، ص 369.

[2]: حمدي الشيخ: التطور و التجديد في الأدب العباسي، المكتب الجامعي الحديث، ط 1، 2013، ص 98.

لقد ركز الشاعر الجاهلي في مدحه على الأخلاق الحميدة من كرم، وشجاعة، و عفة....، ومع ظهور الإسلام أضيفت إلى جانب هذه الأخلاقيات، قيم سامية أخرى، أرستها تعاليم الدين الحنيف، وعلى هذا النهج سار الشعراء الأمويون، غير أننا نلمح بعض التطورات في هذا الغرض، عند الشعراء العباسين.

مما لاشك فيه أن الترف الذي عرفه خلفاء تلك الحقبة له أكبر الأثر، في نزوع الشعراء إلى هذا اللون من الشعر، وذلك طمعا في العطايا التي يقدمها الخلفاء لهم، فبالغوا في مدحهم إلى حد خروجهم عن المعقول، يقول (أبو العتاهية) في مدح (المهدى):

أَتَتْهُ الخِلَافَةُ مُنقَادَةً إِلَيْهِ تَجُرُ أَذْيَالَهَا

وَلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ وَ لَمْيَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا

وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ لَزُلْزِلَتْ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا[1]

يمدح الشاعر الخليفة (المهدي)، و يظهر قوته وجبروته، و كيف أن الخلافة هي التي أتت إليه، لم يسع إليها، جاءت إليه منكسرة منهزمة، وأنها تليق به،و ليس بغيره، منتقلا إلى المبالغة في المدح، حيث يرى أن الأرض ستزلزل زلزالها إن أراد الخلافة أحد غيره.

و في سياق المبالغة في المدح، نذكر بعضا مما قاله (أبونواس) في مدح الخليفة:

وَ أَخْفَتْأَهْلُ الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تولد[2]

[1]: أمين أبو الليل، محمد ربيع: العصر العباسي الأول، مؤسسة الوارق، عمان، دط، 2009، ص 124.

[2]: محمد عبد المنعم خفاجي: الآداب في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، ص 169.

يبالغ الشاعر في مدح الخليفة، ووصف قوته و جبروته، حتى أنه من شدة خوف المشركين منه، تهابه حتى النطف في أرحام أمهاتها، وهذا كان شأن بعض الشعراء الذين هان عليهم أمر الدين، و أغرتهم كثرة الأموال، والعطايا التي غمرهم بها الخلفاء، حتى قاربوا من الكفر أو وقعوا فيه.

صحيح أن هناك فئة من الشعراء، مدحت الخلفاء بما ليس فيهم ابتغاء الهبات، وجزيل العطايا، إلا أننا نلمح فئة مدحت الخليفة بما ينبغي أن يكون عليه من القيام بشريعة الإسلام، و تحقيق العدل و المساواة في المجتمع، رغبة منهم في حثه على هذه الصفات، وكأنهم من خلال مدحهم له يحددون المواصفات التي ترومها الأمة في خليفتها، ومثال ذلك ما مدح به (المتنبي) سيف الدولة:

قد زرته و سيوف الهند معمدة و قد نظرت إليه والسيوف دم

فكان أحسن خلق الله كلهم وكان أحسن ما في الأحسن الشيم[1]

يقيم (المتنبي) في هذين البيتين موازنة بين أخلاق سيف الدولة في السلم، و الحرب، فرأى أنها ثابتة لا تتغير، دائما متمسك بأخلاقه الحميدة الحسنة، لا يحيد عنها مهما كانت الأحوال.

إذا ما تركنا غرض المدح إلى الوصف، فإننا نجد هذا الأخير حمل الكثير من مظاهر التجديد، سنتطرق إليها من خلال العنصر الموالي.

ثانيا : الوصف

لقد تطور هذا الغرض تماشيا مع التطور الحضاري، الذي شهده هذا العصر، فانتقل الشعراء من وصف البوادي، و الخيم إلى وصف القصور، و مظاهر الحياة المترفة، كقول (البحتري) في وصف إيوان كسري:

[1] : حمدي الشيخ: التطور و التجديد في الأدب العباسي، ص 39.

لو تراه علمت أن الليالي جعلت فيه مأتما بعد عرس

فإذا ما رأيت صورة أنطاكية ارتعت بين روم و فرس

و المنايا مواثل و أنو شروان يزجى الجيوش نحن الدرفس[1]

يصف الشاعر من خلال هذه الأبيات، ما آل إليه الإيوان من خراب و دمار، بعد أن كان عامرا بأهله، وكيف أن الليالي جعلت فيه مأتما بعد عرس، فقد كان مكانا خلابا، اجتمعت فيه صور الجمال و الفرح، غير أنه انقلب إلى خراب و ألم و حزن نظرا للمعركة العنيفة التي دارت بين الفرس و الروم في أنطاكية.

كما اهتم الشعراء العباسيون أيضا بوصف مظاهر الطبيعة، وما تحمله من جمال، كأن نجد (الصنوبري) يصف الربيع بقوله:

ما الدهر إلا الربيع المستنير إذا جاء الربيع أتاك النور و النور

تبارك الله ما أحلى الربيع فـلا تغرر فقايسه بالصيف مغرور[2]

يرى الشاعر بأن الربيع أجمل الفصول و أبهاها، لما يحمله من بهجة ، وفرح، و كأن الأرض تصبح لوحة فنية، مؤكدا أنه لا يشاركه و لا يضاهيه فصل من الفصول، حتى أنه ينعت من يوازيه بالصيف مغرور.

هكذا سار شعراء هذه الفترة في قصائدهم من وصف للمنارة و البساتين، و الأزهار و غيرها من مظاهر الجمال ، فكان شعرهم صورة متناغمة، مع الحياة الجديدة، التي شهدوها، كما نجد نمطا من الشعر جديدا، كان

[1]: المرجع نفسه، ص 40.

[2]: محمد عبد المنعم خفاجي: الآداب في العصر العباسي الأول، ص 192.

نتيجة الترف و البذخ الذي عاشه الحكام آنذاك، و هو شعر الطرد والصيد، والذي اشتهر به بعض الشعراء أمثال (أبي نواس) و (ابن المعتز) و غيرهم، ومن أمثلة ذلك ما قاله (ابن المعتز) في وصف كلاب الصيد:

عواصف مشبهات للأمد لما عدوت وعدوت خيل الطرد[1]

يشبه الشاعر من خلال هذه الأبيات كلاب الصيد بالعواصف لشدة عدوها.

ومما يندرج ضمن الوصف أيضا شعر الخمريات، هذا النوع اشتهر به على وجه الخصوص (أبو نواس) الذي يقول:

ودار ندامى عطلوها و أدلجت بها أثر منهم جديد ودارس

مساحب من جر الزقاق على الترى و أضغاث ريحان: جنى و يابس[2]

يتحسر الشاعر على غياب أصحابه من مجلس الشراب، وقد تركوا آثارا قديمة، و جديدة، ثم صور لنا ملازمتهم لها، بتركهم خطوطا على الأرض من كثرة الذهاب و الإياب.

ومن المعروف أن هذا النوع من الوصف ليس جديدا في الشعر العربي، فقد اشتهر به (الأعشى) في الجاهلية، غير أننا في العصر العباسي، نجد الشعراء أفردوا له قصائد مستقلة، و افتتحوا به قصائدهم، وكل هذا كان نتيجة موجة الترف و المجون في تلك الفترة

كان هذا فيما يتعلق بغرض الوصف و بعض ملامح التجديد التي شهدها في هذا العصرمنتقلين إلى غرض الهجاء.

---

[1]: المرجع نفسه، ص 194.

[2]: محمد عبد المنعم خفاجي:المرجع السابق، ص 197.

الهجاء:

لقد تطور غرض الهجاء، كغيره من الأغراض في العصر العباسي، حيث نلمح ظهور ضرب جديد في الهجاء، وهو الرسم الكاريكاتوري و ربما كان الغرض منه تطهير المجتمع من بعض الأخلاق الذميمة، وذلك من خلال هجاء أصحابها، ورسم مساوئهم في صورة كاريكاتورية مضحكة، ومن أمثلة ذلك قول (ابن الرومي):

يقتر عيسى على نفسه و ليس بباق و لا خالد

فلو يـستطيع لتقتيره تنفس من منخر واحد[1]

يصور الشاعر بخل هذا الشخص، في صورة كاريكاتورية مضحكة، مبرزا شدة بخله، و أنه لو استطاع لتنفس من منخر واحد، تقتيرا و اقتصادا، مركزا على أن بخله لن ينفعه كونه ميت لا محالة، و في نفس السياق نجد قول (بشار) في هجاء (ابن قزعة) ببخله:

فلا تبخلن بخل ابن قزعة و غنه مخافة أن يرجى نداه حزين[2]

يوصي الشاعر الناس من خلال هجاءه (لابن قزعة) بعدم البخل، لأنه من الأخلاق الذميمة، التي لم يعرف بها العرب فقد اشتهروا، بالكرم، و الإحسان، منذ القدم، وربما كان هجاء الشعراء لهؤلاء البخلاء، بغية القضاء على هذه الصفة المذمومة.

[1]: حمدي الشيخ، التطور و التجديد في الأدب العباس، ص 41.

[2]:شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص 167.

و مما نجده أيضا في هذا العصر، هجاء الشعراء للوزراء، على نحو ما قاله (ابن الرومي) في هجاء الوزير "اسماعيل بن بلبل":

لازال يومك عبرة لـغدك و بكيت بشجو غير ذي حسدك

لو تجسد الأيام ما سجدت إلا لـيـوم قـت في عضدك

يا نعمة و لت غـضارتها ما كـان أقبـح حسنها بيدك[1]

يبدي الشاعر من خلال هذه الأبيات شماتته بهذا الوزير، الذي فضل مصالحه الخاصة، و قدمها على مسؤوليته، إلى أن أطيح به، وكشف أمره، فذهب عنه الجاه و السلطان، و خسر كل ما جناه من أموال.

فإذا ما تركنا الهجاء إلى الرثاء، فإننا نلمس فيه العديد من مناحي الجدة، و التطور، سنذكر أبرزها في العنصر الموالي.

الرثاء:

يعد الرثاء من بين الأغراض المعروفة في الشعر العربي، فمنذ العصر الجاهلي، و الشعراء ينظمون قصائد يبكون فيها أحبائهم، أو رؤسائهم، غير أننا في العصر العباسي نلمح بعض المظاهر الجديدة كرثاء المدن، و الذي كان نتيجة بلوغ العباسيين مبلغا عظيما من الحضارة، ومحبتهم لتشييد البنيان، فآلمهم خرابها، و دمارها ومن أمثلة ذلك ما قاله (عمر بن عبد الملك العتري) في وصف بغداد وما حل بها في أثناء الحرب الناشئة بين (الأمين و المأمون):

يـا رمـاة المنجنيق كـلكم غير شفيق

[1]:حمدي الشيخ، التطور و التجديد في الأدب العباس، ص 155.

ما تبالون صديق كان أو غير صديق

و يلكم تدرون ما ترمون مرار الطريق

رب خود ذات دل وهي كالغصن الوريق

أخرجت من جوف دنياها ومن عيش أنيق

لم تجد من ذاك بدا أبرزت يوم الحريق[1]

يخاطب الشاعر رماة المنجنيق، وهو من الأدوات الحربية التي ترمى بها النيران، و يصفهم بالقسوة، وأنهم لا يبالون بمن يرمون من الناس، سواء كان قريبا أو غريبا، عدوا أم صديق، و يصف فضاعة الحرب، و كيف أنها أخرجت نساء، تعودت على الرفاهية، والعيش الكريم، من قصورها بعدما احترقت.

و إلى جانب رثاء المدن، هناك نوع آخر من المراثي عرفه العصر العباسي، ألا وهو رثاء الحيوانات، ومن أمثلة ذلك قول (الحسن بن علي بن أحمد بن بشار) المعروف (بابن العلاف) في رثاء هر:

يا هر فارقتنا و لم تعد و كنت منا بمنزل الولد

فكيف ننفك عن هواك و قد كنت لنا عدة من العدد

تطرد عنا الأذى و تحرسنا بالغيب من حية ومن جرد[2]

يتفجع الشاعر على فقد الهر، و يرى أنه بمثابة الابن، بالنسبة إليه، و ذلك لأنه يغنيهم عن المصائد و غيرها من العدة، التي تستخدم في الإمساك بالجرذان، وعلى هذه الشاكلة سار العديد من الشعراء، كما أننا

[1]: مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع و ملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول، ص 333.

[2]: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، دار المعارف، مصر، ط،2، د،ت، ص 219.

نعجب من مرثيات بعض الشعراء في هذا العصر كأن نجد "رثاء (أبي الشبل البرجمي التميمي) لقنديل حطمه كبش دخل بيته و عاث فيه، و كذلك بكاؤه قرطاسا سرق منه خلسة"[1]

لقد كان هذا شأن غرض الرثاء، وما لحقه من تجديد في هذه الفترة، فإذا ما انتقلنا إلى غرض آخر و هو الغزل، فإننا نجد بعض جوانب التجديد المنافية للأخلاق، و المبادئ الإنسانية نتيجة موجة المجون و العبث في ذلك العصر.

الغزل:

يعد الغزل من بين الأغراض المتجذرة في الشعر العربي، فقد تغزل الشعراء منذ القدم بالمرأة، وذكروا محاسنها، غير أننا في العصر العباسي نلمح شيوع الإباحية في شعر الغزل، و ذلك نتيجة كثرة الجواري، و انحلال المجتمع حيث نجد من الشعراء من اتجه إلى الغزل الحسي أمثال: (أبي نواس) و (بشار بن برد) و (مطيع بن إياس) و غيرهم " فقد تبذلوا في وصف المرأة، و تعهروا في الحديث عنها، و أمعنوا في هتك حجاب العفة، وأفحشوا في تناول العورة، و أعلنوا كل سر، و كشفوا كل مستور[2]" و ربما كان هدا نتيجة استهتارهم بالأخلاق و المثل، غير أننا اتجاها معاكسا لهذا النمط، و المعروف بالغزل العفيف، و الذي عرف به بعض الشعراء أمثال (العباس بن الأحنف) حيث نلمح في شعره نوعا من العفة و السمو الخلقي، و اقتصار الحب واحدة، يقول:

كتمت ومن أهوى كوانا فلم نبح و قد كانت الأسرار بالملح تظهر

[1]: المصدر نفسه، ص، ن

[2] :محمد عبد المنعم الخفاجي، الأداب العربية في العصر العباسي الأول ،ص 148.

فـنحن كلانا مقصد في فوائده مــن الشوق نار حرها يتسعر[1]

من خلال هذه الأبيات نجد الشاعر يوصي محبوبته فوز بالكتمان، وذلك حتى يتجنبا الافتراءات، وإن كان هذا يدل على شيء، فإنه يدل عمق العفة، و صدق المشاعر، كون شعراء هذا النوع من الغزل حاولوا المحافظة على سمعته معشوقاتهم.

و لعل أبرز ما ميز غرض الغزل في العصر العباسي، ظهور نمط جديد، وهو الغزل بالمذكر، و الذي كان نتيجة عدة أسباب أبرزها اختلاط العرب بالأعاجم، ومن شعراء هذا النمط من الشعر نذكر: (أبو نواس، و الحسين بن الضحاك، وأبان بن عبد الحميد بن لاحق، وحماد عجرد وغيرهم)، ويرى (شوقي ضيف) أن مرد هذه الآفة المزرية "كثرة الغلمان الخصيان في بغداد و غيرها من مدن العراق، و كان منهم من تسقط عنه رجولته(حتى ليلبس لبس النساء، وكان من الجواري من يلبس لبس الغلمان لفتا للشباب و الرجال.....ومن تتمة هذا التبادل بين الجواري و الخصيان في الزي، و الهيئة، حينئذ كثرة المخنثين بين المغنين، و الضاربين على الدفوف، و كانوا يتشبهون بالنساء في عاداتهن، و ثيابهن، و ضفر شعورهن و صبغ أظافرهن بالحناء"[2]

كان هذا نتيجة موجة المجون، و الخلاعة في ذلك العصر إلا أننا لا يمكن أن تحكم على طبيعة تلك الفترة بهذه الصفات إجمالا، إذ نجد من الشعراء من اتخذ مذهبا إصلاحيا توعيا ممثلا في شعر الزهد و التقشف، ومن شعرائه (مالك بن دينار) الذي نجده يتحدث في أشعاره عن الموت بقوله:

أتيت القبور فناديتهن أين المعظم و المحتقـر

و أين المدل بسلطانه و أينالمزكي إذا ما افتخر

[1]: مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع و ملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول، ص 333.

[2] : شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص 73-74.

تفانوا جميعا فما مخبر وماتوا جميعا ومات الخبر[1].

و يرد الشاعر من خلال هذه الأبيات، تقديم النصح و الإرشاد إلى الناس، فعندما يموت الإنسان، ينقطع عمله، وتذهب عظمته و سلطانه، فالموت لا يستثني قويا و لا ضعيفا، و لا ينفع الإنسان إلا عمله الصالح.

و مما يشد الانتباه إلى هذا الغرض هو توجه الكثير من الشعراء المجان أمثال (أبي نواس) في أخريات حياتهم إلى النظم فيه، رغبة التكفير عن أفعالهم، كما يشير الباحثون إلى أن (أبو نواس) " لم يكن صادقا في زهده لأن مزاجه و طبعه، وشدة التصاق المحرمات و المنكرات بنفسه ....حالت دون صدقه في تزهده و تبلته"[2]، فكان كلما عاد إلى العبث و الفحش يوجه اللوم إلى نفسه، و يندم على ما اقترفه، ومن أمثلة ذلك قوله:

أفنيت عمرك و الذنوب تزيد و الكاتب المحصي عليك شهيد

كم قلت لست بعائد في سوءة و تدرت فيها ثم صرت تعود

حتى متى لا ترعوي عن لذة وحسابها يوم الحساب شديد[3].

يبدي الشاعر من خلال هذه الأبيات، ندمه على ما اقترفه من ذنوب، و أنه أفنى حياته على فعل المنكرات، و أنه كلما عقد العزم على أن لا يرجع لارتكابها، يجد نفسه عائدا إليها مرة أخرى، ثم يحذر نفسه بأنه إن لم يقلع عن لذاته سيحاسب حسابا عسيرا.

ربما كان هذا شأن غرض الزهد، و ما لحقه من تجديد، لكن إذا ما انتقلنا إلى الحديث عن أغراض جديدة، نشأت في هذا العصر أول مرة، نتيجة تطور الحياة العقلية، و كثرة التأليف و الترجمة المتمثل في الشعر التعليمي و الذي " خصص لنظم مختلف العلوم كالنحو و الفقه و المنطق، و سائر الفضائل الحميدة و السير

[1]: المصدر نفسه، ص 400.

[2]: مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع و ملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول، ص 186.

[3]: المرجع نفسه، ص 187.

النبيلة، بالإضافة إلى وصف بعض الكائنات الحية كالحيوانات و الحشرات و سواها[1]"، و ربما يرجع ظهور هذا النوع من الشعر إلى جملة التطورات التي شهدها العصر، و حاجة البعض إلى طرق مبسطة للتلقين، وتحصيل المعارف، ومن أبرز شعراء هذا النمط نجد (أبان بن عبد الحميد بن لاحق، وبشر بن المعتز، ورؤية بن العجاج، و الوليد ابن يزيد و غيرهم)، ومن أمثلة نذكر ما نظمه (أبان اللاحقي) فيما يتعلق بالفرائض:

قـــصيدة الصيام و الزكاة نقل أبـان مـن فـم الرؤاة

هذا كتاب الصوم وهو جامع لـكـل ما قامت به الشرائع

قال أبو يوسف: أما المفترض فرمضان صومه إذا عرض

و الصوم في كفارة الأيمان من حيث ما يجري به اللسان[2]

يوضح من خلال هذه الأبيات أحكام الصوم، و أنه واجب في شهر رمضان، كما يصوم المرء، للتكفير عن يمين قطعه.

هذا كان فيما يتعلق بمظاهر التجديد على مستوى الأغراض الشعرية، و إذا ما انتقلنا إلى مظاهر تجديد أخرى عرف بها العصر العباسي، فلعلنا سنتحدث عن مذهب الصنعة الذي اشتهر به (مسلم بن الوليد) وتعمق فيه (أبو تمام)، حتى بلغ منه مبلغ التعقيدو الإغراب، هذا الشاعر أقصد (أبا تمام) الذي انتهج في الشعر طريقة جديدة، اجتمع فيها الطبع، مع الأفكار الفلسفية، و تنوع الثقافات، جعل من شعره ميدانا خصبا لآراء النقاد، ومنهلا للعديد من الشعراء، و هذا ما سنتحدث عنه في الجانب التطبيقي من هذا البحث.

[1]: المرجع نفسه، ص 342.

[2]: حمدي الشيخ، التطور و التجديد في الأدب العباسي، ص 71.

و عليه يمكننا القول أن العصر العباسي شهد العديد من التطورات التي كانت، أمرا حتميا، نتيجة الترف و الغنى و الانفتاح على الأعاجم، و التي امتد صداها إلى الشعر، فظهرت فيه تطورا و بذور تجديد لم نلمحها من قبل.

حركات التجديد في الشعر العربي في ضوء التطور الحضاري:

لقد شكلت التطورات الحضارية، التي شهدتها المجتمعات العربية، ضجة كبيرة، على مختلف العصور، لما حملته من مظاهر تجديد، أثرت بدورها على الشعر العربي، هذا الأخير الذي نجده، ومنذ ظهوره، يرتبط نوعا ما ببيئة شاعره، وما لحقها من تطورات، فإذا ما تحدثنا عن الشعر الجاهلي فإننا نجد أبرز ما يميز القصيدة آنذاك" اليسر، و البعد عن التعقيد الحضاري ذلك أنها وليدة البيئة الجاهلية، وهي بيئة يسيرة ساذجة، ما جعل الشاعر يجري على طبعه و سجيته[1]"، فالعرب الجاهلون، كانوا أهل بادية، يعيشون في الصحراء، و يسكنون الخيام، وغلب على حياتهم كثرة التنقل من مكان لآخر، طلبا لموارد الماء، والكلأ، ما جعل شعرهم" يفيض بالحركة، والحيوية، ولا يكتفي الشاعر، بموضوع واحد، وإنما ينتقل من موضوع إلى آخر، فهو إذ يقف على الطلل، ينتقل إلى وصف الناقة أو الفرس ....و يخلص بعدئذ إلى الغرض المقصود من فخر، أو حماسة، أو مديح، أو هجاء[2]"

ومن كل هذا نستخلص أن الشعراء الجاهلين عبروا عن مجتمعهم، ووصفوه بكل حيثياته، منتقلين، إلى الحديث عن الشعر في العصر الإسلامي و علاقته بالتطور الحضاري في تلك الفترة، حيث ان للإسلام أثر بارز في توجيه الشعر وجهة جديدة، تختلف عن سابقتها، من حيث اللفظ، والغرض و الموضوع الذي يعالجه الشاعر، فمن ناحية اللفظ نجد أن" العرب كلها اجتمعت على لهجة قريش[3]" حيث كان هذه الاجتماع نتيجة تأثرهم

[1]: سامي يوسف، أبو زيد، الأدب الجاهلي، دار المسيرة، عمان، ط1، 2011، ص 79.

[2]: المرجع نفسه، ص، ن.

[3]: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الاسلامي، دار المعارف، القاهرة، ج،2،ط، 7، د،ت، ص 31.

بالقرآن الكريم، و ليس ما قيل عن قلة الشعر في عصر صدر الإسلام بصحيح، إذ أن " الإسلام لم يثبط عن الشعر إلا حين و قف معارضا لدعوته، أما بعد ذلك فقد كان يرتضيه، و يستحسنه[1]" ومن كل ذلك يمكننا القول بأن الإسلام لم يهاجم الشعر بمجمله و إنما هاجم الشعراء الذين كانوا يتعدون على الرسول و المسلمين، كما نهى عن الأغراض، التي كانت تمس بحرية الآخرين، وتزدريه كغرض الهجاء مثلا، ومع حلول العصر الأموي استجدت في الحياة، معالم جديدة كان لها أثر على الشعر إذ" سرعان ما أترفوا، فابتنوا القصور، و ظعموا في أواني الذهب، و الفضة مختلف الأطعمة، وليسوا الحريرية المزركشة[2]" ، فاتجه كثير من الشعراء إلى وصف هذه الحياة في ثنايا قصائدهم، ومما لاشك فيه أن حياة الترف، و البذخ، تبلغ بأصحابها مبلغ، اللهو و المجون، فنجد ظهور ألوان جديدة من الشعر كالغزل الماجن، و تستمر هذه الموجة إلى أن تبلغ أوجها في العصر العباسي كما لا نجد الشعراء يتغزلون بالمرأة فحسب، بل إننا نجدهم يتغزلون بالغلمان كذلك، ومن آثار تطور الحضارة أيضا أن" الشعراء اتجهوا إلى معالجة مواضيع أخرى جديدة، لها صلة وثيقة بمستجدات الحياة الاجتماعية، و الثقافية و الحضارية، على وجه الخصوص[3]"، فالشعراء آنذاك، وصفوا القصور، والحدائق، و الربيع، و كل ماله علاقة بالحضارة و لجمال، حيث كان لعامل الحضارة في هذا العصر، أثر بارز في توجيه الشعر، نحو التجديد و التطور، و الذي أدى ببعض الشعراء إلى " التعبير عن الجمال، بأسلوب حضري جديد يهتم بتجميل الصورة، و إخراجها في ثوب براق....عرف بفن البديع، الذي برع فيه " ابن المعتز"، وأجاد فيه العديد من الشعراء، وبخاصة أبي تمام[4]"، بمعنى أن الشعر في العصر العباسي، قد ازدهر ازدهارا عجيبا، نتيجة توفر المظاهر الحضارية، التي تسحر الألباب، وتدفع الشعراء إلى تزيين قصائدهم بحلل البديع.

---

[1]: المصدر نفسه، ص 45.

[2]: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الاسلامي، دار المعارف، القاهرة، ج2،ط، 7، د،ت، ، ص 193.

[3]: مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع و ملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د،ط، 1995 ص 247.

[4]: المرجع نفسه، ص 251.

ومن كل هذا نستنتج أن للحضارة أهمية كبرى، في الرقي بالشعر و الأخذ به، في طرق التجديد، والإبداع، و لا نقول أن الحضارة هي العنصر الوحيد في هذا التأثير، وإنما هي العنصر الأبرز، في هذا التجديد.

الفصل الثاني

مظاهر التجديد في شعر (أبي تمام)

- أولا:منابع ثقافة أبي تمام
- ثانيا: أنموذج من قصيدة (أبي تمام) في رثاء (محمد بن حميد)
- ثالثا: شرح القصيدة
- رابعا: دراسة أسلوبية للقصيدة

أ–المستوى الصوتي

ب–المستوى التركيبي

ت–المستوى الدلالي

- خامسا: مظاهر التجديد في

شعر (أبي تمام)

أولا: منابع ثقافة أبي تمام:

لقد كان للثقافة الواسعة، التي اكتسبها (أبو تمام)، أثر بارز في نتاجه الشعري، حيث استفاد الشاعر من القرآن الكريم، و التاريخ الجاهلي، و الإسلامي، كما تأثر بالفلسفة، وعلم الكلام، و غيرها من العلوم.

و لعل أبرز ما تأثر به القرآن الكريم فوظف من آيات القرآن، و معانيه ما أضفى على شعره، نوعا من القوة، و الجمال، ومن ذلك قوله:

و بين الله هذا من بريته في قوله: " خلق الإنسان من عجل[1]"، و في ذلك تضمين من قوله تعالى، في سورة الأنبياء:" خلق الإنسان من عجل سأوريكم آياتي فلا تستعجلون[2]"، و يشرح (التبريزي) هذا البيت بقوله:" أي قد كان وعدك إياي للعطاء الجزيل بحرا، فاستعجلت حتى لم أصل إلى كل ما قدرته، و حرمني حظي العجل[3]"، و ربما اختار الشاعر التضمين من هذه الآية لتعزيز موقعه، والتعبير على أن عجلته هذه، ليس له يدبها، إذ هي شيء ملازملالإنسان، فهو دوما يستعجل كل الأمور في حياته، و هذا ما يؤول به في نهاية المطاف، إلى الندامة.

كما نلمس في شعر (أبي تمام) توظيف التاريخ، بذكر وقائعه، " إذا يبدوا قادرا، على تطويع المادة التاريخية لفنه، حتى تخدم قضيته، و لا يتم هذا من خلال البيت المنفرد...بل يعرض معلوماته التاريخية من منطلق الثقة بها، فيطيل في معالجة تفاصيل الموقف[4]"، نحو ما جاء، في مدحه (لأبي دلف) بقوله:

إذا افتخرت يوما تميم بقوسها وزادت مـا وطـدت مـن مناقب

[1]: الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، دار الكتاب العربي، بيروت، ج، 1، ط،2، 1994، ص 44.

[2]: سورة الأنبياء، الآية 37.

[3]: المصدر نفسه، ص 44.

[4]: عبد الله التطاوي، مصادر الفكر في شعر أبي تمام، دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة،د،ط،1993، ص 79.

فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

محاسن من مجد متى تقرنوا بها محاسن أقوام تكن كـالمعايب

مكارم لجـت في علو كأنما تحاول ثأرا عند بعض الكواكب[1]

و في هذه الأبيات يقول (شوقي ضيف):" أن بني تميم، لما أصابها جدب، اتبغت الرعي في أرض العراق، و كاتب والي الحيرة كسرى، هل يأذن لهم في الرعي؟ فاشترط أن يقدموا رهائن منهم، و لما طلبت من رئيسهم حاجب بن زرارة، قال ليس معي إلا قوسي، فاسترهنوها منه، ووفى لهم بما وافقهم عليه، فصار ذلك معدودا في مناقب بني تمام[2]"، فهنا نجد الشاعر لا يذكر، وقائع من التاريخ مجرد الذكر و إنما يفصل فيها.

ومما تأثر به (أبو تمام) أيضا الفلسفة، و علم الكلام، حيث" راح ينقب في مصطلحاتهم و دلالاتها، ليتخذ منها مصدرا لفنه، يطوعها للقصيدة، و يضمها بين ثنايا بعض قصائده[3]"، نحو ما قاله، في تحبيب الرحلة عن الأوطان:

و طول مقام المرء في حي مخلق لـديبـاجتيه فاغـترب تتجدد

فإني رأيـت الشمس زيدت محبة إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد[4]

و يعني الشاعر من خلال هذين البيتين، أن بقاء الإنسان في مكان واحد طوال حياته، يبلي وجهه، و مكانته، ويورد مثالا عن الشمس و كيف أن الناس يحبونها لأنها ليست دائمة عليهم، و في ذلك معاني فلسفية، ومنطقية عميقة، بالإضافة إلى أنها تحمل في طياتها نوعا من الحكمة.

[1]: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ط، 8، د،ت، ص 277

[2]: المصدر نفسه، ص 277.

[3]: عبد الله التطاوي، مصادر الفكر في شعر أبي تمام، ص 132

[4]: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص 278.

ومن كل هذا نستنتج أن سعة ثقافة الشاعر، و كثرة اطلاعه، انعكست على قصائده، كما أدت إلى ظهور ملامح تجديد في شعره، شغلت فكر النقاد، كما ألهمت الشعراء من بعده.

أنموذج من قصيدة (أبي تمام) في رثاء "محمد بن حميد الطوسي:

كَذَا فَلْيَجِلَ الخَطْبُ وَ لْيِفْدَحِ الأَمْرُ ... فَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْيَفِضْ مَاؤُهَا عُذْرُ

تَوُفِيَتِ الآمَالُ بَعْدَ مُحَمَدٍ ... وَ أَصْبَحَفِي شُغْلٍ عَنِالسَفَرِالسَفْرُ

وَمَا كَانَ إِلَا مَالَمَنْ قَلَ مَالُهُ ... وَذُخْرًا لِمَنْ أَمْسَى وَلَيْسَ لَهُذُخْرُ

وَمَا كَانَ يَدْرِي مُجْتَدِي جُودِكَفِهِ ... إِذَا مَا اِسْتَهَلَتْأَنَهُ خُلِقَ العُسْرُ

أَلَا فِي سَبِيلِ الله مَنْ عُطِلَتْ لَهُ ... فِجَاجُ سَبِيلِ الله وَانْثَغَرَ الثَغْرُ

فتى كلما فاضت العيون قبيلة ... دام ضحكت عنه الأحاديث و الذكر

فَتَى مَاتَ بَيْنَ الضَرْبِ وَالطَعْنِ مِيتَةً ... تَقُومُ مَقَامَ النَصْرِ إِذْ فَاتَهُ النَصْرُ

وَمَا مَاتَحَتَى مَاتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ ... مِنَ الضَرْبِ وَاِعْتَلَتْ عَلَيْهِالقَنَا السُمْرُ

وَقَدْ كَانَفَوْتُ المَوْتِ سَهْلًا فَرَدَهُ ... إِلَيْهِ الحِفَاظُالمُرُ وَ الخُلُقُ الوَعْرُ

وَ نَفْسٌتَعَافُ العَارَ حَتَى كَأَنَهُ ... هُوَ الكُفْرُيَوْمَ الرَوْعِ أَوْ دُونَهُ الكُفْرُ

فَأَثْبَتَ فِي مُسْتَنْقَعِ المَوْتِرِجْلَهُ ... وَقَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِ أَخْمُصِكِ الحَشْرُ

غَدَا غُدْوَةً وَ الحَمْدُ نَسْجُ رِدَائِهِ ... فَلَمْ يَنْصَرِفْ إِلَا وَ أَكْفَانُهُ الأَجْرُ

تَرَدَى ثِيَابُ المَوْتِحُمْرًا فَمَا أَتَى ... لَهَا اللَيْلُ إِلَا وَهِيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ

كَأَنَ بَنِي نَبْهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ ... نُجُومُ سَمَاءٍ خَرَ مِنْ بَيْنِهَا البَدْرُ

يُعَـزَوْنَ عَنْ ثَاوٍ تُعَزَى بِهِ العُلَى وَ يبَكِي عَلَيْهِ الجُودُ وَ البَأْسُ وَ الشِعْرُ[1]

شرح القصيدة:

يعد الرثاء من بين الأغراض الشعرية، التي طرقها (أبو تمام)، و أجاد فيها حيث بكى الكثير من أبطال المعارك آنذاك، ويرجع سبب بعض الحروب في الأغلب إلى شيوع الفتن في تلك الفترة، ومن بينها ما شهدته أذربيجان، حيث نشأت" منذ سنة 201 ثورة عنيفة للخرمية بقيادة بابك، فوجه إليه "المؤمون" "محمدبن حميد الطوسي" سنة 214 خانه الحظ في بعض معاركه معه، فخر صريعا[2]" و قد رثاه العديد من الشعراء، ومن بينهم (أبو تمام) في هذه القصيدة والتي نجده يفتتحها بالتعبير عن عظمة المصاب، وثقل الفجيعة، فكأن كل مصيبة تهون أمام فداحة هذا الخطب الجليل إذا لم يعد هناك مبرر لعين لم تذرف دمعا لفقدان هذا البطل، وكيف لا تبك العيون لفقدانه؟ وقد كان الأمل ملازما له، توفي بوفاته حتى أن المسافرين، أعرضوا عن أسفارهم، وقضاء حوائجهم، و انشغلوا بهذا الأمر الجلل، نظرا لأن (الطوسي) كان مال الفقير، وعون المحتاج، فمن يطلب مساعدته، يجده سخيا لدرجة أنه ينسى، أن هناك شيء عسير، خلقه الله كما يردف أنه قاتل في سبيل الله، و أن بعد وفاته توقف الجهاد، وأصبحت حدود البلاد الإسلامية مهددة، ثم يورد صفات هذا القائد الباسل، و أنه يتميز بالفتوة ، وأنه كلما نزلت بقبيلة مصيبة واساها بنفسه، وماله حتى أنهم يتحدثون، عن حسن أخلاقه، وشدة جوده، و كرمه، كما يرى بأن وفاته كانت بمثابة النصر، وذلك لأنه لم ينسحب، و هذا ما يذكره (ابن الأثير) في كتابه "الكامل" في الحديث عن قصة مقتله، وأنه لما نصب له أعدائه كمينا "صبر محمد بن حميد مكانه، وفر من كان معه، غير رجل واحد، و صار يطلبان الخلاص، فرأى جماعة وقتالا فقصدهم فرأى الخرمية يقاتلون طائفة من أصحابه، فحين رآه الخرمية قصدوه لما رأوا من حسن هيئته، فقاتلهم، وقاتلوه، و ضربوا فرسه بمرزاق، فسقط إلى

[1]: الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، قدم له ووضع هومشه راجي أسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ج، 2، ط،2، 1994، ص 218-219.

[2]: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ط، 8، د،ت، ص 41

الأرض وأكبوا على محمد بن حميد فقتلوه[1]"، و يذكر الشاعر أنه لم يسقط قتيلا، في المعركة، إلا بعد أن تكسر سيفه من كثرة القتال، كما أنه كان بإمكانه الهروب، والنجاة بنفسه إلا أنه أراد أن يدافع عن أهله، كما أن خلقه الصعب، منعه، من أن يحيد عن مبادئه، فقرر أن ينجد أبناء قومه، لكي لا يلتصق العار به طوال حياته، فالعار وشماتة الأعداء، بمنزلة الكفر عنده، وفي ذلك عزة نفس، وشهامة قل مثيلها، ثم ينتقل في البيت الحادي عشر إلى وصف وفاته، وكيف أنه لما أدرك حتمية مقتله، استعد لها، رغبة منه في نيل الشهادة، فتحولت ثيابه الملطخة بالدماء إلى ثياب من حرير أخضر، تعبيرا منه على دخوله الجنة، ثم يشبه الشاعر، في البيت الرابع عشر، عشيرته، ويصف حالتهم بعد وفاته، بأنهم كنجوم خر من بينها البدر، و ذلك ليبرز مكانة الفقيد في عشيرته، فهو بمثابة البدر، الذي يضيء بنوره النجوم، و بغيابه ذهب هذا النور عنها، و ساد الظلام و يضيف إلى ذلك أن الناس تعزيهم في فقيد تعزى فيه العلى و يبكيه البأس، و الجود، و الشعر، فلم يكن (الطوسي) إلا رجلا ذا مبادئ سامية، وكل تلك الصفات الحميدة تبكيه، فبغيابه غابت، و اندثرت، و كأنه كان رمزا متجسدا لها، مرتبطا بها، فليس كريما و شجاعا فحسب، بل هو الكرم في حد ذاته، و المروءة والشهامة، وكل الخصال الحميدة، فلا نقول: مات (ابن حميد) بل نقول: توفي البأس، و الجود، و النزاهة و الأخلاق السامية.

الدراسة الأسلوبية للقصيدة:

أولا: المستوى الصوتي:

يعد المستوى الصوتي من أهم مستويات الدراسة الأسلوبية، والذي سنعتمد عليه في دراسة القصيدة، من خلال الكشف عن موسيقاها الخارجية، والداخلية، وتوضيح مدى تلائمها مع موضوع النص، و في البداية سنتعرض لدراسة الموسيقى الخارجية للمرثية.

[1]: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، راجعه و صححه الدكتور محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، لبنان، م،5، ط،1، 1978، ص 419.

أ- الموسيقية الخارجية:

جاءت المرثية التي نحن بصدد دراستها على بحر الطويل، و هو أحد البحور الخليلية الأكثر انتشارا في الشعر العربي، و تفعيلاته هي: فعولن، مفاعيلن، فعولن، مفاعيلن، و قد توصلنا إلى هذا بعد الكتابة العروضية للبيت الشعري:

كذا فليجلّ الخطب و ليفدح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

كذا فليجلل الخطب و ليفدح لأمرو فليس لعين لم يفض ماؤها عذرو

0/0// 0/0/0// 0/0// 0/0/0// /0// 0/0/0// 0/0// 0/0/0// 0/0/0

فعولن/ مفاعيلن/ فعولن/ مفاعيلن فعول/ مفاعيلن/ فعولن/ مفاعيلن

ومن الملاحظ أن هذا البحر، بما يتميز به من امتداد، و طول تناسب مع موضوع الرثاء، كونه منح للشاعر متنفسا ليعبر فيه عن شدة ألمه، وصبابته.

و إذا ما انتقلنا قافية القصيدة، فإننا نجد أن الشاعر، قد اختار لمرثيته، روي الراء، وقد كثر استعمال هذا الحرف روى في الشعر العربي، نظرا لكثرة الكلمات المنتهية به، و عادت ما تنسب القصائد إلى قائمتها، فهذه إذا رائية، و حرف الراء جاء مضموما، مما يعني أن قافية القصيدة مطلقة، و الأمر الذي أكسب القصيدة قوة و مثانة، هو ذلك المزج بين الصوت اللّثوي المجهور، و حركة الضمة الذي ساهم في إبراز عاطفة الوجع و التفجع، الي حاول الشاعر التغير عنها في ثنايا قصيدته، هذا ما كان بشأن الموسيقي الخارجي للقصيدة، والآن ننتقل إلى الدراسة موسيقاها الخارجي من خلال ما سيأتي.

ب- الموسيقى الداخلية:

لقد خلق الشاعر في البيت الأول من قصيدته نوعا ، من الموسيقي الداخلي ممثلة في التصريح، وذلك في قوله:

كذا فليجلّ الخطب و ليفدح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

فالتصريع هنا بين كلمتي (الأمر،عذر) أكسب القصيدة جرسا واضحا، ساهم في التأكيد على حجم الفاجعة، و جلل المصاب، فكل بلية تهون أمام فقدان هذا القائد الشجاع.

ومما يندرج ضمن الموسيقى الداخلية أيضا، الجناس و الذي يعد من المحسنات البديعية، التي تساهم مساهمة فعالة، في إضفاء الجمالية على العمل الأدبي لاسيما الشعر، و الملاحظة في القصيدة بروز موسيقي الجناس بين الكلمات (السفر، السفر)، في الأولى بمعني الرحيل و الثاني معناها المسافرين، حيث ساعد هذا التشكيل الموسيقي الداخلي في إبراز نفسية الشاعر الخزينة و تجسيد معاناته، كما نلمح أيضا جناس الاشتقاق بين، (انثغر، الثغر)، و أيضا بين (مات، ميتة) و كلها ساهمت في لفت نظر القارئ، وتنبيه لما يعاني الشاعر من الفقد.

و بالإضافة لهذه الأنساق نذكر الطباق، الذي يقوم على علاقة التضاد، والذي يساهم في إيضاح المعنى، ومن أمثلة الطباق في القصيدة، نذكر ذلك التضاد السلبي بين (ذخر، ليس له ذخر) وبين لون الثياب (حمر، حضر)، وكل هذه النماذج ساهمت في إضفاء الجمال على القصيدة.

ومن أهم الأنساق المساهمة، في تشكيل الموسيقي الداخلية، التكرار الذي نلاحظه بكثرة في القصيدة سواء من ناحية الحروف أو الكلمات، ومن أمثلة تكرار الحروف نذكر:

فتى مات بين الضرب و الطعن ميتة تقوم مقام النصر إذا فاته النصر

ففي هذا البيت يظهر تكرار حرف التاء جليا، و الذي ساهم في إبراز بطولة، و شجاعة المرثي، حتى أن و فاته كانت بمثابة النصر، ومن أمثلة التكرار أيضا نذكر:

كأن بني نبهان يوم وفاته نجوم السماء خر من بينها البدر

و في هذا البيت نلحظ تكرار حرف النون، و الذي يساعد الشاعر على التعبير عن حزن قومه على فقدانه، نظرا للمنزلة التي يحتلها بينهم، فهو بمثابة البدر بين النجوم، و التي يقصد بها أفراد قبيلته.

ومن مظاهر التكرار أيضا نجد تكراره لـ: (سبيل الله) مرتين و ذلك ليؤكد على أن جهاد الفقيد كان في سبيل الله لذا حقت له الشهادة.

كما نجد الشاعر كرر البداية في كلمة (فتى)، والتي عبر من خلالها عن حسرته على وفاة (الطموسي)، وهو في ريعان شبابه.

هذا ما توصلنا إليه فيما يتعلق، بالمستوى الصوتي للقصيدة و الذي استنتجنا من خلاله، قوة التناسب بين الموسيقى الخارجية، والداخلية لموضوع القصيدة المتمثل في الرثاء، إذ نجد معظم الأصوات تفضي إلى مشاعر الألم، و الحزن، منتقلين إلى دراسة المستوى التركيبي لهذه القصيدة، واكتشاف البنى التركيبية المتعلقة بها.

ثانيا: المستوى التركيبي:

تعد دراسة المستوى التركيبي لنص ما، من النقاط المساهمة في الكشف عن جماليات هذا النص، الممثلة في قدرة الشاعر على تخير الألفاظ المناسبة للمعاني التي يحاول إيصالها إلى ذهن المتلقي.

أ- الجمل الاسمية:

لقد شغلت الجمل الاسمية مساحة معتبرة من القصيدة، كما نلحظ أن الشاعر قد استخدمها في وصف الفقيد، و تعداد أخلاقه، ويتوضح ذلك في قوله: (ألا في سبيل الله)، و (فتى كلما فاضت عيون قبيلة) و (و فتى مات بين الضرب و الطعن ميتة)، و(نفس تعاف العار)، فالشخصية التي يرثيها الشاعر نموذج ثري، فهو شهيد، يتميز بالفتوة، و الكرم و الشجاعة، حتى أن نوته كان بمثابة النصر، إذ لم يستسلم، وقاتل حتى قتل، و أنه كريم الأخلاق، و تأبى نفسه العار، وتعافه، فهو بمثابة الكفر، بالنسبة إليه، فقد ساهمت هذه الجمل، في الكشف عن

صفات الفقيد، مثلما ساهمت في إضفاء الديمومة، والثبات على هذه الصفات، فهذه الخصال الحميدة، ملازمة للفقيد لا تفارقه، وكأنه رمز متجسد لها.

ب- الجمل الفعلية:

لقد ساهمت الجمل الفعلية في القصيدة، مساهمة فعالة، فتنوعت الأفعال من ماضية، ومضارعة، و أفعال الأمر، و لكل منها وظيفة، ففي البداية نجد الشاعر وظف فعل الأمر من خلال قوله:(كذا فليجل الخطب و ليفدح الأمر)، و ذلك للتعبير عن جلل المصاب، و فداحة الأمر، و كأنه يقول: هكذا يجل الخطب، و يفدح الأمر، وما عدا ذلك فليس بشيء يذكر، ثم نجده ينتقل إلى استخدام الأفعال الماضية في قوله: (توقيت الآمال بعد محمد)، و(كان مال من قل ماله)، و (ما مات حتى مات مضرب سيفه)، و (أثبت في مستنقع الموت رجله)، و(غدا غدوة) و (تردى ثياب الموت حمرا)، وكل هذه الأفعال الماضية، أعانت الشاعر على وصف مقتل ذلك البطل المغوار، و ما كان عليه من يأس، وقوة.

ومن أمثلة استخدامه للأفعال المضارعة قولة: (تقوم مقام النصر إذ فاته النصر)، و (يعزون عن ثاو تعزى به العلا)، للتعبير عن طبيعة الحياة بعد وفاة هذا القائد الباسل، وكيف أن وفاته، لم تكن خسارة بل نصرا، لأنه لم يفر من أرض المعركة، ودافع عن أهله، و استخدامه للفعل (يعزون)، وهو فعل مضارع مبني للمجهول، كان رغبة منه في العبير عن كثرة الناس، الذين يعزون بني نبهان عن (ابن حميد)، وهو فقيد يعزى به الجود، و البأس، والشعر، ومن كل هذا نستنتج أن الأفعال، قد أضفت نوعا من الحركة، و الحيوية على القصيدة.

ت- التقديم والتأخير:

يعد التقديم والتأخير من أبرز الظواهر الأسلوبية، التي تمنح النص نوعامنلجمالية ،والتألق، تجذب القارئ، و تدفعه للكشف عن كنهه.

فإذا ما تحدثنا عن أمثلة التقديم في هذه القصيدة، فإننا نذكر تقديمه لخبر أصبح (في شغل عن السفر) على اسمها (السفر)، و ذلك رغبة منه في التأكيد، على أن وفاة (محمد بن الحميد)، ليس من الأمور العابرة، كما نجده يقدم (عنه) على الفاعل فيقول: (ضحكت عنه الأحاديث و الذكر)، وذلك للتعبير على خصوصية الأحاديث به فقط، و كذلك تقديمه لـ: (عليه) في قوله: (و اعتلت عليه القنا السمر)، وهو في ذلك أيضا يريد حصر العلة التي أصابت القنا السمر حزنا، في (الطوسي) فحسب، هذا كان بالنسبة للتقديم، أما إذا انتقلنا إلى رصد مظاهر التأخير في القصيدة، نذكر أن الشاعر قد أخر المفعول (أنه خلق العسر)، وربما كان غرضه من ذلك كله، هو تصوير الموقف كاملا، قبل أن يأتي على ذكره، فوضح أن طالب العطاء، يقف من شدة جوده مندهشا، حتى أنه ينكر وجود شيء عسير، في هذه الدنيا، أمام سخاء هذا المرثي.

ث- الجمل البلاغية:

لقد احتلت الجمل البلاغية مساحة مهمة من المرثية، وتنوعت من تشبيه و استعارة، وكناية، وكلها كان لها مساهمة مهمة، في إضفاء الجمالية على القصيدة، فإذا ما تحدثنا عن التشبيه نجد أن الشاعر، قد استخدمه في التعزير من موقفه، ومن أمثلة التشبيه، قوله:

وَنَفْسٌ تَعَافُ العَارَ حَتَى كأَنَهُ هُوَالكُفْرُ يَوْمَ الرَوْعِ أَوْ دُونَهُ الكُفْرُ

شبه الشاعر العار (المشبه)، بالكفر (مشبه به)، و ربما يقصد بالعار الفرار من المعركة، و ذلك للتأكيد على المبادئ السامية، التي تمسك بها الفقيد، كما نلحظ صورة تشبيهية أخرى في قوله:

كَأن بَنِي نَبْهَانَ يَومَ وَفَاتِهِ نُجُومُ سَمَاءٍ خَرَمِنْ بَيْنِهَا البَدْرُ

شبه الشاعر بني نبهان (مشبه) بالنجوم (مشبه به)، للتعبير عن منزلتهم بين القبائل، فهم بمثابة النجوم، التي يهتدى بها المسافرون إلى طريقهم، ولكنه شبه (الطوسي) بالبدر، و بوفاته انطفأ مصدر النور الذي يمنح النجوم ضياءها .

إذا ما تركنا التشبيه، و انتقلنا إلى الكناية، نلحظ بعض الأمثلة منها في ثنايا القصيدة، نذكر منها قوله: (ثياب الموت حمرا) وفي ذلك كناية عن الموت، كما قال: (ثياب من سندس خضر) كناية عن الاستشهاد.

هذا كان شأن الكناية، أما بالنسبة للاستعارة فإننا نجدها هي الأخرى، تحتل جانبا مهما من القصيدة فقد جعل الآمال كالكائن الحي الذي يتوفى، كما جعل الأحاديث تضحك، ومضرب السيف يموت، ففي الإستعارة الأولى نجد الشاعر شبه (الآمال) بالكائن الحي (مشبه به)،فحذفه و ترك ما يدل عليه (توفيت) على سبيل الإستعارة المكنية، كما شبه الأحاديث (مشبه)، بالإنسان (مشبه به)، فحذفه وترك ما يدل عليه (ضحكت) على سبيل الإستعارة المكنية، و في تشبيهه لمضرب السيف (مشبه) بالكائن الحي (مشبه به) الذي حذفه، وترك ما يدل عليه (مات) على سبيل الإستعارة المكنية، وكل هذه الصور ساهمت في تصوير شدة الفقد، والرزء في هذا الفقيد.

ومن كل هذا نستنتج أن هذه القصيدة، جاءت متماسكة التركيب، فمن أسماء أضفت الثبات لصفات (ابن حميد)، إلى أفعال ساهمت، في بث بعض من الحيوية، والحركة للأحداث، ووصف تغير الأحوال بعد وفاته، وصولا إلى صور بيانية عززت المرثية بنوع خاص من الجمالية.

ثالثا: المستوى الدلالي:

لقد أولت الدراسة الأسلوبية عناية كبيرة بالمستوى الدلالي للقصيدة، إذ يختلف كل معجم شعري بين شاعر، و آخر، وبين غرض و آخر، فلكل شاعر ثقافته الخاصة، كما لكل غرض ما يناسبه من المعاني.

تتضمن قصيدة (أبو تمام) عدة معاني، و دلالات ولعل أكثر المواضيع، التي يتحدث عنها، وصف الفقيد، و الحديث عن المعركة، و البكاء على (الطوسي)، كما قد افتتح قصيدته بمقدمة، تتصل بموضوعها اتصالا وثيقا، حيث عبر فيها عن عظمة الفقيد، ومكانته واعتبار الرزيئة في مثله شديدة، و أن كل مصيبة، أمام فقده تهون، فقد كان مقصد الشاعر، و غايته من الموضوع، تعداد مآثر (ابن حميد)، و البكاء عليه بكاء حارا، حتى أننا لنحس أنه لا يبكي المرثي وحده، بل يبكي ما آلت إليه البلاد الإسلامية، أثناء هذه الحرب، التي خاضها (بابك الخرمي) ضدها، حيث تكبدت فيها الدولة العباسية، خسائر جسيمة، وفقدت أبطالا كثر، و أضيف لهم (الطوسي)، وهو من قبيلة الشاعر، فكانت الصدمة أوقع في نفسه، فنجده يجسد لنا الأمل في حياته، و اليأس في وفاته، و انتقاله إلى الرفيق الأولى.

لقد تنوعت الحقول الدلالية، لهذه القصيدة، بين حزينة و حماسية، ودينية، و ذلك كان حسب ما يرمي إليه الشاعر، من وصف للحرب، و البكاء على الفقيد، و تجسيد استشهاده.

إذا ما تحدثنا عن الحقل الحربي، فإننا نجد (أبا تمام) قد استخدم بعض ألفاظ الحرب ومنها: (الضرب، الطعن، النصر، السيف، القنا، الموت، الحشر، الكفن)، ويرجع ذلك إلى حاجة الشاعر لمثل هذه الألفاظ لوصف المعركة التي خاضها الفقيد، فاستخدامه لكلمتي (الضرب والطعن) كان للتعبير عن هول الحرب، وكثرة قتلاها، و ربما للتعبير عن كثرة الأعداء مقابل قلة أصحاب (الطوسي)، و استخدامه لكلمة (النصر)، لا يعني بها أنهم فازوا بالمعركة، و إنما يقصد بها أن شجاعتهم، و صلابتهم، في أرض المعركة، وعدم انسحابهم، كانت بمثابة النصر، بالرغم من خسارتهم ، كما نجده يضفي صفة الحياة على (السيف) فيجعله يموت، وفي ذلك نوع من المبالغة في الوصف، هذا ما كان بالنسبة إلى هذا المعجم وما حمله من دلالات، منتقلين إلى معجم آخر، و إبراز بعض مما يحمله من دلالات.

ومما نلمحه في القصيدة أيضا غلبة حقل الحزن، و الألم لأن المقام مقام رثاء، ومن الكلمات الدالة على ذلك نجد: (الخطب، توفيت، فاضت عيون، ميتة، يعزون، ويبكي)، وكل هذه الألفاظ أظهرت عاطفة الألم، و الأسى، فاستخدامه لكلمة (الخطب) للتعبير عن وفاة (ابن حميد)، ينم عن المكانة السامية، التي يحتلها المرثي في القلوب فكلمة (الخطب) لا تطلق إلا على الأمر الجلل، و كما وظف كلمة (توفيت)، و نسبها للآمال فبث فيها الحياة، و جعل الوفاة أمرا ملازما (للطوسي)، و ذلك ليوضح مدى التلازم بين المرثي و الأمل و كأن الأمل متجسد فيه، كما استعمل كلمة (فاضت) و لم يقل (بكت) و ذلك تعبيرا منه عن شدة البكاء، و كثرة الدموع، ولا يكون البكاء شديدا، إلا إذا كان الشخص عزيزا، و الفعل المضارع (يعزون) المبني للمجهول، ساعده في التعبير عن كثرة المعزين في هذا القتيل، كما وقد استخدم الفعل (يبكي)، ونسبه للصفات، و الأخلاق السامية، فقد أضفى عليها صفة الحياة، و جعلها تبكي الفقيد و كأنها إنسان، هذا ما توصلنا إليه من خلال هذا المعجم منتقلين إلى معجم آخر.

كما ظهرت بعض الألفاظ الدينية، نظرا لطبيعة المعركة التي خاضها، ضد بابك الخرمي، ومن هذه الكلمات نذكر: (سبيل الله، الأحاديث، الذكر، الكفر، الحشر، الحمد، الأجر، سندس) و استخدامه لكلمة (سبيل الله) جاءت تعبيرا منه، على أن قتاله كان ابتغاء مرضاة الله، كما كان استعماله لكلمة (الكفر) للدلالة على أن هذا الفقيد يكره العار، و يعافه، و كأنه الكفر، ثم تأتي الألفاظ الدالة على وفاته وهي (الحشر)، كما نجد أيضا الألفاظ التي تدل على نيله الشهادة، و دخوله الجنة ممثلة في (الأجر، و سندس)

ومن كل هذا يمكننا القول أن القصيدة جاءت مفعمة بالدلالات العميقة، التي تعبر عن الحزن، والألم، كما تعبر عن شجاعة المرثي، و إقدامه في الحرب.

خامسا: مظاهر التجديد في شعر (أبي تمام) من خلال قصيدته:

بعد دراستنا لأنموذج من قصيدة (أبي تمام) في رثاء (محمد بن حميد الطوسي) توصلنا إلى عدة نتائج متعلقة في أساسها، بالأسلوب الذي تميز به هذا الشاعر عن معاصريه، والذي شغل اهتمام النقاد آنذاك، وقد أشار (طه حسين) في "حديث الأربعاء" إلى أهمية هذا الشاعر بقوله:" و كثير من الشعراء يمرون بالأرض سراعا، و لكنهم يتركون آثارا باقية طويلة البقاء، ومنهم من يطبع جيله، بطابعه الخاص، ومنهم من ينشيء مذهبا في الشعر، يبقى ما بقي الشعر، و لا يتأثر باختلاف الظروف، وتباعد العهد، وتتابع الأيام، و كان (أبو تمام) من هؤلاء الشعراء، مر بالأرض مرا سريعا، كما يمر السحاب، و لكنه غرس في الأرض حدائق لن يجد الذواء، و الذبول إليها سبيلا[1]".

هذا و إن كان يدل على شيء، فإنما يدل على نباهة هذا الشاعر، و سعة فكره، وأهمية ما حمله من بذور تجديد في الشعر العربي، فقد أنشأ مذهبا بقي بعده، واتبعه في ذلك كثير من الشعراء، ونحن في هذا المقام، سنذكر بعضا من مظاهر التجديد، التي عرف بها هذا الشاعر، و بعد ذلك سنتطرق إلى ذكر ملامح التجديد، التي ارتبطت بهذه القصيدة.

لقد تميز شعر (أبي تمام) بالعديد من مظاهر التجديد، التي شغلت فكر النقاد آنذاك، فقد اتخذ في الشعر مذهبا عرف به، و نسب إليه، و اتبعه فيه كثير من الشعراء، و يقول (الآمدي) في وصف شعره بأنه " لا يشبه أشعار الأوائل، و لا على طريقتهم، لما فيه من الإستعارات البعيدة، و المعاني المولدة، فهو بأن يكون في حيز

[1]:طه حسين، حديث الأربعاء، دار المعارف، مصر،ط،2،د،ت، ص 178.

(مسلم بن الوليد)، ومن حذا حذوه، أحق وأشبه[1]" ، و عليه سنورد أهم الخصائص التي تميز بها شعره، عن أشعار الآخرين.

في بداية حديثنا عن خصائص شعر (أبي تمام) سنتحدث عن تأنقه البديعي، و الذي كان نتيجة تأثره بما لحق عصره من تطورات، في مختلف ميادين الحياة، حيث أقبل على الإسراف في استخدام الطباق، و التجنيس، والإستعارات، ووشح شعره بها " حتى صار كثير مما أتى به من المعاني لا يعرف و لا يعلم غرضه فيها إلا بعد الكد، و الفكر و طول التأمل، ومنه ما لا يعرف معناه إلا بالظن و الحدس[2]".

و أمثلة ذلك في شعره كثيرة سنذكر منها قوله:

وَرَكْب يسَاقُونَ الرِكَابَ زُجَاجَةً مِنَ السَيْرِ لَمْ تَقْصِدْ لَهَا كَفُ قَاطِبِ[3].

و يقول (أنيس المقدسي) في شرح هذا البيت:" أن الشاعر يقصد بذلك أن المسافرين يشاركون ركائبهم في السير الشديد الذي لا لين فيه و لا تؤدة، فاستعار للسير الشديد الخمر، التي لم تمزح بماء، وجعل تشارك الركب بالركائب فيه عبارة عن تساقيهم تلك الخمر الصرف[4]" و يضيف إلى ذلك أننا لا نحتاج إلى تأمل الكثير لنرى شدة تعسفه في هذه الإستعارة، ومن أمثلة أيضا ما قاله في وصف سفينة:

حَمَلَتْ رَجَايَ إلَيكَ بِنتُ حِدِيقَةٍ غَلبَاءَ لَمْ تُلقَحْ لِفَحْلٍ مُـقْرِفٍ

---

[1]:أبو القاسم الحسين، بن بشير الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف،ط،4،د،ت، ص 4،5.

[2]: المصدر نفسه، ص 139.

[3]: أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،ط، 17، 1989، ص 197.

[4]:المصدر نفسه، ص ،ن.

فَنجَتْ وَ قَدْ حَوَتْ الهُنَيدَةَ وَابتَنَتْ فِي شَطْرِهَا وَتَبَوَعَتْ فِي النَيفِ[1]

فهنا يكني الشاعر السفينة، بابنة الحديقة الغلباء، لأنها تصنع من خشب الحديقة، وشبه السماء بالفحل، و يقول في معنى هذه الأبيات أنه لم يلقحها أي لم يصبها بمطر، و كيف أنها أسرعت وهي بنت مئة، و يذهب (أنيس المقدسي) إلى أن أمثال هذه المجازات كثيرة في شعر أبي تمام " فإنك لا تكاد تقرأ له قصيدة حتى تمر ببيت أو بضعة أبيات من هذا الشعر، الذي ينفر منه الذوق السليم، لما فيه من تكلف الصناعة، و الاهتمام بالقشور دون اللباب[2]"

و إذا ما انتقلنا للحديث عن تفننه المعنوي فإننا نجد في شعره الكثير من الصور البليغة، التي تكشف عن خياله الواسع، وحسن اختراعه للمعاني، ومن أمثلة ذلك قوله:

وَ إِذَا أَرَادَ الله نَشْر فَــضِيلَةٍ طُويـَتْ أَتـَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ

لَولَا اشْتِعَالُ النَارِ، فِيمَا جَاورَتْ مَا كَانَ يُعْرَفُطِيبُ عُرفِ العُودِ[3]

فالشاعر يشير إلى أن الحسود له فضل على المحسود، كونه يظهر ما كان خفيا في المحسود، من أخلاق وفضائل، ويورد مثالا على ذلك في أن النار تحرق كل ما تأتي عليه، إلا أن لها فضلا في معرفة، و تمييز رائحة العود الطيب، و هذا مما أدرجه النقاد ضمن المعاني المبتكرة.

ومن حسن اختراعه للمعاني أيضا، قوله يصف مشيبه الباكر:

سِتٌ وَعِشْرُونَ تَدْعُونِي فَأَتْبَعُهَا إِلَى المَشِيبِفَلَم تَظْلِمْ وَ لَمْ تُجِبِ

---

[1]:أنيس المقدسي المصدر السابق، ص 200.

[2]: المصدر نفسه، ص،ن.

[3] : الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، قدم له ووضع هوامشه راجي أسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ج، 1، ط،2، 1994، ص 358.

فَأَصْغَرِي أَنَ شَيْبًا لَاحَ بِي حَدَثًا وَ أَكْبَرِي أَنَنِي فِي المَهْدِ لَمْأَشِب[1]

في هذين البيتين نجد الشاعر يعذر الشيب، و لا يعتبر أنه من الغريب حلوله بشعره، و هو في سن السادسة و العشرين، و لكنه يجد من الغريب أنه لم يشب و هو طفل، و ربما يشير من خلال كلامه هذا إلى شدة، ما لحق به من خطوب، وهموم في صغره.

ومن خصائص شعره أيضا شغفه بالإغراب، وربما كان ذلك نتيجة تشعبه بمعارف عصره، حيث طالع مختلف الثقافات، وتمثلها في شعره تمثلا دقيقا" و خاصة التاريخ و علم الكلام وما يتصل به من الفلسفة و المنطق[2]"، ومن أمثلة ذلك قوله:

أَهُنَ عَوَادِي يُوسُفَوَصَوَاحِبُهُ فَعَزْمًا فَقَدْماأَدْرَكَ السُؤَالُ طَلَبَهُ

أَعَاذِلَتِي مَا أَخْشَنَ اللَيْلَ مرَكِبًا وَ أَخْشَنُ مِنْه فِي المُلِمَاتِ رَاكِبُهُ

دَعِينِي عَلَى أَخْلَاقِي الصُمِالتِي هِيَ الوَفْرُ أَو سِرْبٌ تَرِنُنَوادِبُهُ

فَإِنَ الحُسَامَ الهِنْدَاوِيَ إِنـَمَا خُـشُونَتُهُ مَا لَمْ تُقَلِلْ مَضَارِبُهُ[3]

و يقول في ذلك (أنيس المقدسي):" أنه لما بدأ في إنشاد هذه القصيدة في مجلس الأمير قيل له لم تقول مالا يفهم؟ فأجاب السائل: لم لا تفهم ما يقال؟، ومعنى هذه الأبيات عموما: هل تريد الغواني أن شغلني و تثنى عزيمتي عن السفر، و أن تخدعني كما حاولت أن تخدع يوسف بن يعقوب؟ فلا تذرع بالعزم، لا بد لكل طالب مواظب من إدراك طلبه، و أيتها العاذلة إن الليل مركب خشن، ولكن الذي يركبه أشد منه و أخشن فاتركيني على أخلاقي الشديدة أسعى في طلب العلى.

[1]: أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ص 202.
[2]: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص 276.
[3]: أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ص 207.

فإما أن أنالها، أو أموت وتندبني النوادب، فإن الحسام الهندواني القاطع إنما خشونته (عدم مضائه) ما لم يستعمل (أي إنما مضاء الرجل بالعمل و الإقدام)[1].

كما كان لكثرة الحفظ تأثير على أسلوب الشاعر، ما جعله يستعمل غير المألوف من الأوصاف، و العبارات على نحو قوله:

أما أنه لولا الهوى ومعــاهده مواعيسه قد أقفرت و أجالده

لأعطيت هذا الصبر مني طاعة ليعلم دهري أي قرن يكايده[2]

يريد الشاعر من خلال هذين البيتين، أن يعبر عن شدة صبره على المصائب، فولا نأي الأحباب عن الديار، الذي أفقده صبره، لعلم الدهر بثباته، و يضيف إلى ذلك قوله: أي قرن يكايده بمعنى أي رجل يمكر له.

ومن مناحي غموضه أيضا أننا نجده يستخدم الكلمة، توحي بأكثر من معنى، مما يؤدي إلى حدوث اختلاف في تأويلها ومن ذلك قوله:

نيطت قلائد عزمه بمحبر متكوف متدمشق متبغدد[3]

ويقول (التبريزي) في هذا البيت أنه يحمل مغيبين:"أحدهما أن يكون أراد أن شعره سارفي هذه البلاد، ودار الآفاق، وروي لحسنه، والآخر، أن يكون أنه مدح بالشام بني أمية، و بالكوفة بني علي، و ببغداد بني العباس[4]"

[1]: انيس المقدسي المصدر السابق، ص 207، 208.

[2]: المصدر نفسه، ص 211.

[3]: الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، ج، 1، ص 262.

[4]: المصدر نفسه، ص، ن.

و غموضه هذا لم يكن إلا نتيجة، عمق ثقافته، و سعتها وقد أجاب كل من عاب عليه ذلك بقوله: لما لا تفهم ما تقرأ؟

و هذه ما هي إلا دعوة له، إلى الارتقاء في مستوى الشاعر فالذي يقرأ شعره في أول وهلة، يلمح منه من التعقيد و الصعوبة ما ينفر منه، غير أنه لو بحث فيه للمس من الجمال ما يسحر الألباب و يأسرها.

ومن كل هذا، يمكننا القول أن الشاعر، قد انتهج مذهبا في الشعر خالف به القدماء، و جدد فيما أتوابه من معاني، وابتكر، و بالرغم من أن البعض عابوا عليه ذلك الغموض الذي تميز به أغلب شعره، إلا أن البعض أعجب به، وراح يفسر فيه، و يكشف عن المعاني الخفية، وإذا ما انتقلنا إلى القصيدة، و حاولنا الكشف عن مظاهر التجديد فيها فإننا نجدها كغيرها من القصائد، اشتملت على بعض من هذه المظاهر، والتي سنفصل فيها في العنصر الموالي.

ومن أبرز ما نلحظه من تجديد فيما يتعلق، بهذه القصيدة مقدمتها حيث نجد أن الشاعر، قد دخل إلى الغرض الذي يريده مباشرة، دون الوقوف على الأطلال، فقد أولى الحادثة أهمية كبرى، ولم يكن هذا شأنه في قصائده كلها، فقد افتتح الكثير من قصائده بالوقوف على الأطلال، ومثال ذلك قوله:

ما في وقوفك ساعة من باس نقضي ذمم الأربع الأدراس[1]

و في هذا البيت نلحظ عدم معارضته الشاعر، للوقوف على الطلل و استحضار الذكريات التي مرت، غير أننا نلمح مذهبا آخرا، في شعره ألا وهو ترك البكاء على الديار، و النهى عنها في قوله:

فعليه السلام لا أشرك الأطلال في لـوعتي ولا في نحيبي

[1]: الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، ج، 1، ص 73.

فسواء إجابتي غـــير داع و دعائي بالقفر غير مجيب[1]

و يوضح ذلك (الآمدي) بقوله:" لا أشرك الأطلال في لوعتي أي لا أجعل ذلك خالصا لأحبتي، أي لا أقول، كما يقول (امرؤ القيس) :"قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل"، فاستوقف يبكي الحبيب و المنزل معا، وقوله:" فسواء إجابتي" معنى لطيف، وقد ذكرته في باب استعجام الديار عن جواب[2]"

هذا كان فيما يتعلق بمقدمة القصيدة، و إذا ما انتقلنا إلى المعاني فإننا نجد الشاعر أجاد أكثر في المعاني، إما في التجديد في المعاني القديمة، أو خلق معان جديدة مبتكرة، على نحو ما جاء في القصيدة:

فتى مات بين الضرب و الطعن ميتة تقوم مقام النصر إذ فاته النصر

فقد جعل الموت بمثابة النصر، و في ذلك مخالفة للمنطق، إذ من غير المعقول أن يكون الموت نصرا، بل يمثل الخسارة، و الفشل، ولعل أراد الشاعر من هذا المعنى، الإشارة إلى أن (الطوسي) انتصر، لأنه توفى شهيدا.

كما نلمح في أسلوبه نوعا من المبالغة في الوصف، ومن أمثلته في القصيدة قوله:

وَمَا مَاتَحَتَى مَاتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ مِنَ الضَرْبِ وَ اِعتَلَتْ عَلَيْهِ القَنَا السُمْرُ

فقد بالغ في وصف مقتل (محمد بن حميد)، وجعل السيف يموت، و في ذلك تهويل، ومبالغة، وفي ذلك يقول (الآمدي): " و إن كنت تميل إلى الصنعة، و المعاني الغامضة، التي تستخرج بالغوص و الفكرة، و لا تلوي على ما سوى ذلك، فأبو تمام عندك أشعر لا محالة[3]"

[1]:الخطيب التبريزي المصدرالسابق، ص ،ن.

[2]: أبو القاسم الحسين، بن بشير الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري، ص 564.

[3]:المصدر نفسه، ص 139.

فتجسيم المعاني، وتشخيص الجمادات، بإضفاء صفات الكائنات الحية عليها من أبرز أولويات تجديد (أبي تمام).

ومن مظاهر التجديد المتعلقة بالقصيدة أيضا، كثرة الصور البيانية، و المحسنات البديعية، وهذا ما وضحناه في الدراسة التي قمنا بها على القصيدة.

و في الأخير يمكننا القول أن مظاهر التجديد، التي لحقت نتاج الشاعر، تعود إلى حداثة العصر، كما تعود إلى تشعبه بمختلف الثقافات، والعلوم.

خاتمة

خاتمة

خاتمة:

و في الختام، يجدر بنا أن نأتي على رصد أهم الملامح، و النتائج التي توصلنا إليها في دراستنا هذه، و التي آثارنا عرضها على النحو التالي:

1- إن قضية التقليد، والتجديد متجذرة في الشعر العربي، إذ لم يخل منها عصر من العصور.

2- لقد شهد الشعر العربي، حركات تجديد، وتطور منذ العصر الجاهلي، غير أنها كانت بشكل طفيف، إلى غاية العصر العباسي، الذي اتسم بمظاهر تجديد،لم تعرف من قبل.

3- قضية التجديد في الشعر العربي، لا تتعلق بعصر من العصور، فحسب بل هي قضية ممتدة عبر العصور، ظهرت بظهوره، وتطورت تدريجيا معه.

4- لقد ظهرت في العصر الجاهلي مظاهر تجديد في الشعر، تمثلت في وصف الخمر، و أوانيها، و كان ذلك نتيجة احتكاك العرب بالفرس، ومن أبرز ممثليه (الأعشى)

5- ساهم الدين الإسلامي، وفي تهذيب النفوس، كما ساهم في تقويم الشعر، و ذلك بتوجيهه، إلى معالجة المواضيع البناءة، كما نهى عن بعض الأغراض، لما تحمله من تجريح، و خدش للحياء.

6- شهد العصر الأموي عدة تطورات، في الشعر، كظهور شعر النقائض، و الشعر السياسي، وكل هذا كان نتيجة، التحولات التي طرأت في تلك الفترة.

7- لقد مثل الشعر العباسي، مرحلة الرقي و التطور، في الشعر العربي لما حمله من بوادر تجديد، وإبداع، شغلت فكر النقاد، و الشعراء على حد سواء.

8- هناك علاقة وطيدة بين التطور الحضاري، و حركة التجديد في الشعر.

9- يعد (أبو تمام) من أبرز حملة لواء التجديد في الشعر العباسي، حيث خلق لنفسه مذهبا في الشعر، نسب إليه، واتبعه فيه كثير من الشعراء.

10- لقد تنوعت منابع ثقافة (أبي تمام) نظرا لشغفه بطلب العلم و كان لهذه الثقافات، انعكاس على شعره، حيث بلغ به مبلغا عظيما من الجدة و التطور

11- تعد قصيدة (أبي تمام) في رثاء (محمد بن حميد الطوسي) من أروع ما قاله في هذا الغرض الشعري، إذ عبر من خلالها عن صدق المشاعر، وشدة الألم، والحزن.

12- من خلال الدراسة الأسلوبية، التي أجريناها للقصيدة، اكتشفنا مدى التوافق بين النص الشعري، وموضوعه، فالأصوات جاءت موافقة للعاطفة الحزينة، كما جاءت التراكيب معززة لدلالات الألم والحسرة، على الفقيد.

13- برزت في شعر (أبي تمام) عدة مظاهر تجديد، متمثلة في العناية بألوان البديع، والغموض، و المبالغة في الوصف، حتى بلغ بشعره، مبلغا عظيما من التعقيد.

14- هذه هي أهم النتائج التي توصلنا إليها، من خلال هذا البحث، وتبقى هذه المحاولة المتواضعة في بحثنا هذا، و لو بعض التوفيق.

ملحق

أبو تمام :

يعد (أبو تمام) من بين الشعراء العباسين الذي ذاع صيتهم في ذلك العصر، وقد ارتأينا إلى اختياره كأنموذج تطبيقي، باعتباره علما من أعلام التجديد، ومما لاشك فيه أن الجديد الذي جاء به، لم يكن وليد الصدفة، بل كان نتاج تجارب عاشها الشاعر سنتعرف عليها من خلال التطرق لنماذج من شعره.

ترجمة الشاعر:

هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، الشاعر، الأديب، أحد أمراء البيان (188هـ/804م – 231هـ/846م)[1]

ولد هذا الشاعر بقرية جاسم من قرى دمشق، وقضى شطرا من طفولته وأيام شبابه في مصر، وتنقل بين ربوع الشام و العراق، كما كان له أسلوب جديد في الشعر، اتسم بالإغراق في المعاني إلى حد التعقيد، حتى قيل أن أحدا سأله: لم لا تقول ما يفهم؟، فأجابه قائلا: و لم لا تفهم ما يقال؟، و لعل هذا التعقيد كان نتيجة تشبعه بالثقافة اليونانية، ومما يعرف عن الشاعر أيضا كلفه بالبديع، الذي أضفى على شعره طابعا خاصا ميزه عن شعراء عصره[2]، فالدارس المنصف يرى" بأن أبا تمام كان شاعر الصنعة بحق و أنه لم يغال فيما أتى به من بديع، و لم يتعمق فيما جاء به من معان، إلا بقدر ما تتطلبه صناعة الشعر في نظره، و قد كان عصره يمثل المرحلة الأولى من مراحله ارتقاء الفنون البديعية، فكان لزاما عليه أن يجاري الذوق المتواضع عليه، في ذلك الوقت[3]".

[1]: الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، دار الكتاب العربي، بيروت، ج، 1، ط،2، 1994، ص05.

[2]: ينظر، حامد حفيني داود، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط،2، 1993، ص 27.

[3]: المصدر نفسه، ص 28.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، راجعه و صححه الدكتور محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، لبنان، م،5، ط،1، 1978.
- ابن عبد الله الحسين بن عبد أحمد بن الحسين الزوزني، شرح المعلقات السبع،دار الكتب العلمية، بيروت،د،ت.
- أبو القاسم الحسين، بن بشير الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف،ط،4،د،ت.
- الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، دار الكتاب العربي، بيروت، ج، 1، ط،2، 1994.
- أمين أبو الليل، محمد ربيع، العصر العباسي الأول، مؤسسة الوراق،عمان، د،ط، 2009.
- حامد حفيني داود، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط،2، 1993.
- حمدي الشيخ، التطور و التجديد في الأدب العباسي، المكتب الجامعي الحديث، ط،1، 2013.
- سامي يوسف أبو زيد، الأدب الجاهلي، دار المسيرة، عمان، ط1، 2011.
- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ج،1،ط، 11، د،ت.
- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الاسلامي، دار المعارف، القاهرة، ج،2،ط، 7، د،ت.
- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي، دار المعارف، القاهرة، ج،3،ط، 8، د،ت.
- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، دار المعارف، القاهرة، ج،4،ط، 2، د،ت.
- طه حسين، تقليد و تجديد، مؤسسة هنداوي، د،ط،د،ت.

- طه حسين، حديث الأربعاء، دار المعارف، مصر،ط،2،د،ت.
- عبد الله التطاوي، مصادر الفكر في شعر أبي تمام، دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة،د،ط،1993.
- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار العلم للملايين، بيروت، ج،1، د،ط، د،ت.
- محمد عبد المنعم خفاجي، الآداب العربية في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت، ط، 1، 1992.
- مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع و ملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د،ط، 1995.
- يوسف خليفة، حركات التجديد في الشعر العربي، دار الثقافة، القاهرة، د،ط، 1975.
- أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،ط، 17، 1989.

الفهرس

الفهرس

شكر و تقدير .....

الإهداء .....

مقدمة.....أ-ج

الفصل الأول: حركات التجديد في الشعر العربي.....**4**

أولا: التجديد في العصر الجاهلي.....04

ثانيا: التجديد في العصر الاسلامي.....10

ثالثا: التجديد في العصر الأموي.....15

رابعا: التجديد في العصر العباسي.....18

حركات التجديد في الشعر العربي في ضوء تطور الحضارة العربية.....31

الفصل الثاني: مظاهر التجديد في شعر (أبي تمام).....33

أولا:منابع ثقافة أبي تمام.....38

ثانيا: أنموذج من قصيدة (أبي تمام) في رثاء (محمد بن حميد).....40

ثالثا: شرح القصيدة.....41

رابعا: دراسة أسلوبية للقصيدة.....42

أ- المستوى الصوتي.....42

ب- المستوى التركيبي.....45

ت- المستوى الدلالي.....48

خامسا: مظاهر التجديد في شعر (أبي تمام).....51

الخاتمة.....60

الملحق.....57

قائمة المصادر والمراجع.....63

فهرس الموضوعات.....68